

الدور السعودي في أفريقيا
(الجزء - المخاطر)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الندوات

تناقش هذه الندوات بالفكر والبحث العلمي الرصين القضايا المتعلقة بمقدساتنا الحجازية وسبل حمايتها مما تتعرض له من الإهانات المزدوجة سواء من أعداء الخارج أو من أعداء الداخل ونقصد بهم (آل سعود) الذين يمارسون عملية اختطاف ديني وسياسي واسعة النطاق لهذه المقدسات ولرسالتها السامية .

إن هذه السلسلة من الندوات بأبحاثها ومناقشاتها ، تمثل صرخة احتجاج علمي وديني على عمليات الاختطاف والعدوان على المقدسات الحجازية وتمثل في الوقت ذاته دعوة صريحة لاستقلال هذه المقدسات بعيداً عن سيطرة العائلة الواحدة ، وأن تعود للأمة الإسلامية مثلما كانت عبر تاريخها المديد .

الناشر

بقلم / محمود جابر *

مقدمة

في البداية نحتاج إلى طرح السؤال التالي : هل يبدأ تنظيم "القاعدة" في تغيير خطته الإستراتيجية وخياراته الجغرافية، ويوجّه البوصلة باتجاه أفريقيا بعد الحصار الخانق الذي شلّ حركة أعضائه وقياداته العسكرية في أفغانستان وباكستان والعراق؟! هل تبدأ الجماعات الإرهابية رحلة التنقيب في الأراضي الأفريقية الخصبة لتجد لها ملاذاً آمناً تستعيد فيه أنفاسها وتعاود عملياتها الإجرامية مرة أخرى؟

من المعلوم أن اهتمام "القاعدة" وتواجدها في أفريقيا ليس بالأمر الجديد، خصوصاً أنها سبق وشهدت تواجداً للجماعات الإرهابية التي تستخدم الصراعات والاضطرابات لزيادة التطرف في صفوف العناصر الإسلامية الأفريقية، ولديها تجارب سابقة، منذ استيطان قيادة "القاعدة" في السودان لفترة من الزمن، وتفجير السفارتين الأميركيتين في كل من كينيا وتنزانيا، وأحداث العنف الجزائرية ومعركة المجاهدين في الصومال ضد الوجود الأميركي، وعملية جربا في تونس، وعمليات الدار البيضاء في المغرب، وعمليات شرم الشيخ وسيناء في مصر .

على هذه التساؤلات يجيب شخص يدعى "أبو عزام الأنصاري" في دراسة مطوّلة كتبها بعنوان "القاعدة تتجه نحو أفريقيا"، نشرت على موقع الكتروني تابع لأنصار الجهاد العالمي، مؤكداً أن كثيراً من قادة القاعدة العسكريين وأعضائها أتوا من شمال أفريقيا (مصر، ليبيا، الجزائر، موريتانيا)، وهو أمر له دلالات ومؤشرات على أن "القاعدة" ربما تفكر في تغيير خطتها وتواجدها باتجاه أفريقيا .

* الخبير في شئون الدراسات السعودية

ومن بين الأسباب التي ذكرها الأنصاري في دراسته، خروج عدد كبير من قيادات تنظيم «القاعدة» من دول أفريقيا الشمالية، وانتشار المد الجهادي في بعض الدول مثل: مصر، الجزائر، السودان، موريتانيا، المغرب، ليبيا، الصومال، اريتريا، تشاد. إضافة إلى الحال السياسيّة والعسكريّة التي تعاني منها معظم بلدان هذه القارة، وحالات الاقتتال القبلي في مختلف هذه البلدان .

وحال الاقتتال والحروب الدائرة في هذه القارة التي وفّرت فرصاً لا تحصى للمجاهدين في التنقل بسهولة بين بلدان هذه القارة، وسهّلت أمور التخفي والتحرك، فأصبحت في كثير من الأحيان لا تحتاج إلا إلى الأموال لتنفيذها، كما سهّلت الحروب الحصول على الأسلحة، إضافة إلى موقع القارة التي تشكّل أحد المعابر إلى أرض الإسراء، فقرب العمليات والمعارك من أرض فلسطين سيشكل دعماً مباشراً وغير مباشر لهذه القضية. فمثلاً: قيام معارك في السودان (دار فور) مع تواجد أي قوات أجنبية أو أميركية، سينتج عنه بلا شك نموّ للتيارات المتطرفة، وهذا النموّ سيؤثر على الجو العام في مصر القريبة من فلسطين، التي ترتبط مع الدولة العبرية باتفاقية سلام، ما سيسهّل نقل المعركة إلى المناطق القريبة من فلسطين، واستمرار المعارك مثلاً في سيناء وتساعد بصورة تدريجية، يشكّل حافزاً لمزيد من الناس للانخراط في سلك الجهاد .

واقع التنظيمات الإرهابية وعلى رأسها «القاعدة»، أنها تعاني في مراكز ثقلها في أفغانستان - باكستان - العراق ، من الحصار والملاحقة المستمرة من كل الجهات، لذلك يُتوقع منها نقل مراكزها وقياداتها «الحركية» إلى الدول الأفريقية، خصوصاً أن معظم دول القارة السمراء تعاني من الصراعات والاضطرابات والحروب الداخلية والميليشيات المتمردة، وهو ما يصعب مهام السلطات الحكومية في فرض سيطرة الدولة على تلك الجماعات الإرهابية .

لا شك في أن «القاعدة» وغيرها من التنظيمات الإرهابية لن تتردد في زرع التربة الأفريقية بالألغام والقنابل لإعادة إنتاج نفسها بشكل مغاير، لتوفّر بيئة صالحة للنمو والتطور والتجديد الإرهابي والقتل الدموي على أرض فقيرة .

ومن وجهة نظرنا نرى أن القول بالاتجاه إلى أفريقيا للاقتراب من أرض فلسطين ما هو إلا ادعاء قديم تردده القاعدة وكل التنظيمات القتالية الوهابية منذ عبد الله عزام وحتى الآن غير أن الواقع يشهد عليهم أنهم يقاتلون كل الناس عدا الصهاينة في فلسطين المحتلة أو غيرها، ويقتحمون كل أرض ويتسللون إلى كل قطر إلا فلسطين المحتلة، ونرى أن القاعدة هي واحدة من الوسائل الثلاث (الوهابية الدعوية، والقاعدة المقاتلة والإسلام السياسي) التي تقوم عليها دعائم الوهابية السعودية في إقامة إسلامية عالمية وهابية تقدم عوناً للإمبريالية العالمية وتخرب النظم والدول في أفريقيا بدءاً من زعزعت السلم والأمن في هذه الدولة وصولاً إلى تلاشى هذه الدول والأقطار كما هو الحال في الصومال وكاد أن يقع في الجزائر سابقاً وهو يقترب من السودان .

في هذه الدراسة نقدم الدور السعودي في أفريقيا الأبعاد والمخاطر من خلال محورين الأول السعودية والإسلامية الدولية الوهابية . وفي هذا المحور بيان بين العلاقة بين الاتجاهات السعودية الثلاثة لتحقيق أهدافها .

والثاني السلفية الجهادية الوهابية في أفريقيا النشأة والأهداف وفيه إيضاح للتطور الوهابي في أفريقيا منذ النشأة إلى الوجود القاعدي الجديد في القارة وعلاقته بالعربية السعودية والأهداف المرجوة من وراء ذلك .

والحمد لله في الأولى والآخرة

الباحث

الإسلامية الدولية (الوهابية) هي أيولوجية عالمية مثل الشيوعية الدولية، وكما كانت الشيوعية الدولية تبغي نشر الشيوعية حول العالم فإن الإسلامية الدولية (الوهابية) تبغي السيطرة على العالم وأسلمته ولكن خطورتها إنها تستخدم الإسلام كدين لبسط هذه السيطرة وتبرر كل شئ بمبررات دينية، وتقول أن هدفها في النهاية هو هدف ديني بمعنى تحويل العالم كله إلى مسلمين .

والإسلامية الدولية (السلفية / الوهابية) هي قديمة بقديم الإسلام ذاته وممتدة من معاوية إلى ابن تيمية مرورا بمحمد بن عبد الوهاب وصولا إلى بن لادن والظواهري فهي ليست طارئة، الجديد فقط هو مصطلح "الإسلامية الدولية" ولكن الأهداف والآليات قديمة، ولهذا تعتبر الشيوعية الدولية مجرد جملة اعتراضية قصيرة مقارنة بالإسلامية الدولية .

والإسلامية الدولية منذ ظهورها قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرنا اتخذت أشكالا مختلفة من الغزوات إلى الخلافة الإسلامية إلى الأسلمة إلى الإرهاب الدولي، ولكن عبر عصورها ومراحلها المختلفة كان الإرهاب جزءا أساسيا من آلياتها ووسيلة أساسية لتحقيق أهدافها والعنف قاسما مشتركا في كل مراحلها .

الدعوة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأسلمة، الخلافة الإسلامية، الغزوات، الغش والتدليس، الخداع والكذب، شراء الذمم بالمال، استخدام الجنس، أسلمة العلم والفكر والحدائث، استخدام البلطجة، الإرهاب الدولي، كلها آليات ومسميات لهدف واحد وهو السيطرة على العالم .

أي وسيلة تستطيع بها السيطرة على العالم ومتاح استخدامها هي محللة شرعا في نظر فقهاء الإسلام الدولية الوهابية - من أول جنود الله التي في العسل إلى الاستحلال والقتل وتفجير البنايات والمساجد-. كل شئ حلال من أجل هدف واحد وهو السلطة واسلمة العالم والسيطرة

عليه سواء طوعا أو اجبارا، سواء إراديا أم لا إراديا، سواء سلما أم حربا، سواء بالإقناع أو بالخداع، كله جائز وكله مشروع وكله له من الفتاوى ما يببره ومن التراث ما يجيزه ومن خبرة التاريخ ما يجعله سياقاً متصلاً .

هناك ثلاثة مراكز رئيسية للإسلامية الدولية وكلها تعتمد على ركيزة واحدة وداعم رئيس من البدء إلى الانتهاء وهي السعودية ، علاوة على عشرات المراكز الفرعية، جعلت الإرهابيين ضيوفاً دائمين في أغلب البيوت العربية وأصبحت أفكارهم الشاذة تتداول وتتناقش وكأنها أطروحات أفلاطون وأرسطو .

أما الاتجاهات المعاصرة للإسلامية الدولية فيمكن تلخيصها في ثلاثة اتجاهات رئيسية أيضاً وتحت كل منها عشرات المسميات والتنظيمات الفرعية المنتشرة في كل بقاع العالم.

الاتجاه الأول: السعودية ووهبة العالم

منذ أن التقى بن سعود المؤسس الجد للعائلة السعودية ومحمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية عام ١٧٤٤ وهذا التحالف قائم حتى هذه اللحظة. وهو قائم على قاعدة بسيطة : دعم حكم آل سعود في مقابل وهبة الحجاز والسعي لوهبة العالم .

ولكن الدولة السعودية مرت بمراحل من الإنكسار والانحسار إلى أن ظهرت المملكة السعودية بشكلها الحالي، ومع ظهور البترول وثبات أركان حكم آل سعود يمكن القول أن وهبة العالم بشكل واسع ظهرت مع حكم الملك فيصل (١٩٦٣-١٩٧٥) وما تلاه.^١

وتعتمد السعودية على آلية أساسية في وهبة العالم وهي المال، وقد قدر ما انفقته الحزب الشيوعي السوفيتي لنشر الشيوعية في الفترة "١٩٢١-١٩٩١" ب ٧ مليارات دولار، في حين قدر ما أنفقته السعودية لوهبة وأسلمة العالم خلال العقدين الأخيرين فقط ب ٨٧ مليار دولار^٢ .

^١ أنظر عادل الجندي ، الحرية في الأسر ، مريت ٢٠٠٦ وهو الكتاب الذي قدم ترجمة وعرض لكتاب المؤلف الفرنسي " لوران ميورفيك" المسمى " أمراء الظلام " .

^٢ كيرتن ونسور السفير الأمريكي الأسبق لدى كوستاريكا مجلة "ميدل ايست مونيتور" عدد يونيو ٢٠٠٧ .

وهناك تفاصيل كثيرة في كتاب لوران ميورافيك عن هذه الجهود السعودية حيث مولت إنشاء ٢١٠ مركزا إسلاميا و١٥٠٠ مسجدا و٢٠٠ كلية إسلامية و٢٠٠٠ مدرسة إسلامية حول العالم. وفي روما أسس الملك فهد مركزا إسلاميا تكلف ٥٠ مليون دولار. بالإضافة إلى الأكاديمية الإسلامية الوهابية بواشنطن وبها ١٢٠٠ طالب، ولندن وبها ١٠٠٠ طالب، وموسكو وبها ٥٠٠ طالب. وفي البوسنة حيث تسعى الوهابية للسيطرة التامة على الدويلة الوليدة، كما فعلت مع الطالبان، قامت مؤسسة الحرمين عام ٢٠٠٠ فقط بافتتاح ١١٠٠ مسجدا ومدرسة ومركزا إسلاميا وطبعت ١٣ مليون كتابا واستخدمت ٣٠٠٠ داعية .

هذا بالإضافة إلى شبكة من المؤسسات الإسلامية الضخمة أنشأتها ومولتها الوهابية السعودية مثل "رابطة العالم الإسلامي ١٩٦٢"، "منظمة المؤتمر الإسلامي ١٩٦٩"، "منظمة الشبيبة الإسلامية ١٩٧٢"، "منظمة الغوث الإسلامي والتي استخدمت ٦٠٠٠ داعية وهابي"، "دار المال الإسلامي"، "بنك فيصل الإسلامي"^٣ .

وتسللت الوهابية لغزو المراكز الأكاديمية في كبرى جامعات الغرب مثل كرسي الملك عبد العزيز في جامعة كاليفورنيا، وكرسي الملك فهد في جامعة هارفارد وكلية الدراسات الشرقية بلندن، ومركز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون. وتساهم في تمويل معهد العالم العربي بباريس، والجامعة الأمريكية في كولورادو، وجامعة هواردي واشنطن، وجامعة ديوك وسيراكيوز وجامعة أكسفورد... الخ

في مقالة بصحيفة واشنطن تايمز بتاريخ ٦ يوليو ٢٠٠٧ تقول راشيل اهرنفلد مدير المركز الأمريكي للديموقراطية: أن الإخوان المسلمين والسعوديين يعتمدون على مقولة "لابن تيمية" تقول "خير من ينشر الإسلام هم الرجال الذين كسبنا قلوبهم" وتواصل "منذ زمن طويل وبحوافز مالية سعودية سخية حدد الإخوان المسلمون الكثيرين من المسؤولين في وزارة

^٣ عادل الجندي ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

الخارجية الأمريكية أنهم من هؤلاء الرجال... أتراهم الآن قد كسبوا قلب الرئيس بوش أيضا؟ ."

حتى السجون الأمريكية وصلتها بركات السعودية عبر الوعاظ الوهابيين مثل الإمام دين عمر ومؤسسات مثل المجلس الإسلامي الأمريكي وجامعة العلوم الإسلامية والنتيجة ظهور مساجين مثل خوسيه باديللا وريتشارد ريد وكلاهما تحولوا إلى الإسلام في السجون وكلاهما حاول القيام بعمليات تفجير إرهابية خطيرة .

الإنهاء الثاني: القاعدة وإرهاب العالم

ففي حين تعتمد الوهابية السعودية على المال بشكل اساسى تعتمد الحركات الجهادية الممولة من قبل الملكة العربية السعودية على العنف بشكل أساسي أيضا، وتنطلق من خطة السيطرة على دولة إسلامية بالقوة تكون نواة تقفز منها إلى باقي الدول الإسلامية لاستعادة الخلافة الإسلامية أو تأسيس الأممية الإسلامية كما كان يخطط ويحلم حسن الترابي (رجل الوهابية السعودية في السودان)... وبعد ذلك تنطلق دولة الخلافة لمحاربة الكفار والصليبيين كما حدث أبان الغزوات الأولى .

وقد حاولت القاعدة بالفعل الانطلاق من السودان ولكن المشروع تعثر، ثم انتقلت إلى أفغانستان وحدث لها ما أرادت بالتحالف مع الطالبان ولكن استعجالها بمحاربة الكفار والصليبيين كما أراد بن لادن وحليفه الظواهري بأحداث ١١ سبتمبر أدى إلى إجهاض حلمهم أيضا بتدمير الطالبان، ثم تكررت المحاولات عبر المحاكم الصومالية، وهناك محاولات دائبة لاغتيال برويز مشرف والاستيلاء على باكستان. وأحدث أحلام الجهاد الإسلامي هو في دويلة غزة. وفي الأخير يحاول تنظيم الجهاد وبتخطيط مخابراتي سعودي نقل قواعده وحركته ومواجهته إلى أفريقيا ، ولم يمض سوى وقت قصير على خطاب أيمن الظواهري (بمناسبة الذكرى الخامسة لأحداث ١١ أيلول)، والذي أعلن فيه انضمام الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر للقاعدة، حتى غيرت الجماعة اسمها لـ"قاعدة الجهاد في

بلاد المغرب العربي"، وقامت بعملية نوعية خطيرة ضد الجيش الجزائري في منطقة أمنية محصنة، ما يبعث رسالة واضحة بأننا أمام نقطة تحول استراتيجي في نشاط القاعدة الأفريقي .

لا يقتصر الأمر على الجزائر. إن تشير المعلومات والتقارير الأمنية إلى أن الجماعة السلفية للدعوة والقتال - سابقاً - (القاعدة حالياً) هي حلقة الوصل بين التنظيمات "الجهادية" في دول المغرب العربي، التي كانت تعتمد سابقاً عملاً حركياً مستقلاً، مع الانتماء أيديولوجياً للقاعدة، أما اليوم فيبدو أن هنالك تنسيقاً مشتركاً، وإرهاصات لنشاط إقليمي على مستوى القارة بأسرها .

ثمة مؤشرات متعددة وأكيدة على التحولات الجديدة؛ ففي تونس تم الإعلان مؤخراً عن مواجهات بين قوات الأمن ومسلّحين تابعين للقاعدة، وهي حالة استثنائية ملفتة في دولة معروفة بقبضة أمنية حديدية، وكذلك في المغرب، التي شهدت تفجيرات الدار البيضاء (مايو ٢٠٠٣) المروعة، إن لا تمر أشهر قليلة إلا ويتم الإعلان عن القبض على خلايا للتيار "السلفي الجهادي"، بحيث تشير معلومات إلى عدد من المحكومين والمعتقلين على خلفية "الإرهاب" يصل إلى ألف شخص، والحال نفسها تنطبق على موريتانيا التي تشهد نشاطاً ملموساً للجماعات الجهادية، وقد تحوّلت الصحراء الكبرى إلى منطقة جغرافية ممتدة للتنسيق والتدريب وعمليات الجماعات الجهادية، كحادثة اختطاف أربعين سائحاً في الصحراء ونقلهم إلى مالي .

يبدو واضحاً أن هنالك نمواً ملحوظاً للقاعدة في الشمال الأفريقي، وأنها تتجدد لتشكل تياراً، له أنصار ومؤيدون وأتباع، يحافظ على وجوده على الرغم من الضربات السابقة واللاحقة المتوقعة. كما أصبح "الجهاديون" المغاربة يقومون بنشاط أوسع ودور أكبر في التنظيم العالمي للقاعدة سواء في العراق أم أوروبا أم أفغانستان، وبرزت العديد من الأسماء المغربية (على

المستوى الفكري والحركي) محسوبة على القاعدة كأبي يحيى وأبي فرج الليبيين ومحمد الفزازي المغربي وأبي مصعب عبد الودود الجزائري وغيرهم .

تتمثل المفارقة الحقيقية أنّ القاعدة الأم قد ضعفت وتلاشت قوتها ودورها في التفكير والسيطرة، بحيث أصبحت عاجزة عن التخطيط أو القيام بأي عملية كبرى، بينما تقوى الشبكات والمجموعات المرتبطة بها وتزداد المساحة الجغرافية التي تنشط فيها تلك الجماعات وتقتحم مواقع لم تكن تحلم بها في السابق كالعراق ولبنان وفلسطين والخليج العربي وأخيراً أفريقيا .

صحيح أنّ وجود القاعدة لا يحظى بانتشار اجتماعي كبير، إذ لا تزال تقوم على مجهود مجموعات من الناشطين والمرتبطيين بها، الذين لا يوجد لهم سند شعبي حقيقي في العديد من الدول، إلا أنّ مقارنة هذا الوجود والنشاط والفعالية بسنوات سابقة، قبل أحداث أيلول مثلاً، يؤكد أنّ هنالك قفزات حقيقية في تجذر القاعدة في الواقع العربي الحالي .

يكفي اليوم الدخول إلى شبكة الانترنت ومتابعة المنتديات والمواقع "الجهادية" المرتبطة بالقاعدة لتتبين كم هو التطور والتحول في عمل القاعدة، بحيث تجد مئات الكتب والمحاضرات والخطب والأدبيات والمقالات التي تمثل مصدراً كبيراً وحيوياً للتنشئة والتجنيد لدى هذه الشبكات، كما تدل المناقشات والحوارات والتعقيبات الموجودة على هذه المواقع على الإقبال الكبير الذي تحظى به وعلى قدرتها على نقل أفكارها وخطابها إلى شرائح من الشباب العربي المتحمس .

لا مجال للمقارنة بين حالة القاعدة اليوم وحالتها، وكذلك الجماعات الجهادية، سابقاً. فقبل عقد من الزمن (في منتصف التسعينات) كان الحصول على الأدبيات المرتبطة بالقاعدة، على قلتها أمراً في غاية الصعوبة، ولا تجد سوى أسماء قليلة معروفة كأبي محمد المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني، وبعض تراث سيد قطب وعبدالله عزام والجماعة الإسلامية المصرية، أما اليوم فأنت أمام تنظير فكري وسياسي وتأصيل معرفي هائل! وبدلاً من جماعة واحدة

ناشطة في مكان محدود، ومجموعات منتشرة في بعض الدول تتعرض للاعتقال بعد عمليات بدائية ارتجالية نجد أننا أمام تنظيمات عالية التدريب محترفة تمتلك قدراً كبيراً من القدرة الأمنية والعسكرية والإعلامية، وأمام نشاط مدهش عابر للحدود والجنسيات .

الملاحظة الرئيسة في تتبع تطور القاعدة أننا أمام مرحلة جديدة قيد التشكل، إذ بدت القاعدة للوهلة الأولى بعد ضربة أفغانستان في حالة من الضعف والتفكك لكنها تمكنت من امتصاص الصدمة وتحولت في عملها نحو درجة من اللامركزية الشديدة سمحت بولادة تيارات متعددة تختلف مع المركز في الكثير من المبادئ والمواقف، وقبل بها المركز اضطراراً، في حين أصبحت القاعدة أقرب إلى الفكرة والرسالة السياسية العالمية منها إلى تنظيم مركزي له قيادة موحدة. أما اليوم فيبدو أننا أمام مرحلة جديدة تتمثل بتجسد هذه الرسالة العالمية، مرة أخرى، بتنظيمات التقطتها، وتبنتها، وتتمدد لتصبح شبكات إقليمية (قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، في المغرب العربي، بلاد الشام، أفريقيا، مصر: بعد تحول الجماعة الإسلامية) .

الشروط التاريخية والموضوعية هي التي تنتج القاعدة في كل مكان: احتلال خارجي، وفراغ سياسي ناشئ عن ضعف النظام الرسمي العربي وافتقاده للشرعية السياسية في نظر الشارع، وغياب الحياة السياسية القادرة على هضم التناقضات والصراعات الاجتماعية والسياسية، يتوازى ذلك مع شعور بالإهانة والإحباط والغضب في مجتمعات فتية تزيد فيها نسبة الشباب على النصف في ظروف من الفقر والبطالة والتضخم وانعدام الحرية والعدالة. فواقع كهذا لا يمكن أن ينتج عنه سوى حركة كالقاعدة وأخواتها، فهي أخطر تعبير عن الأزمة الخانقة التي تعصف بالواقع العربي الراهن .

الاتجاه الثالث: الإسلام السياسي وخذاع العالم

وهذا الاتجاه ينطلق من السيطرة على دولة إسلامية أيضاً ولكن من خلال صندوق الانتخابات، وذلك بخذاع العالم وإيهامه أن الإسلاميين هم أصحاب مشروع ديموقراطي

سلمى للتغيير والإصلاح ، وبعدها ينطلقون أيضا إلى تحقيق حلم الخلافة الإسلامية. وقد حاول الإسلام السياسي في الجزائر وفشلوا لتصدى العسكر لهم. وبعد الدعوة الأمريكية للإصلاح تجدد حلمهم مرة أخرى في عدة دول عربية مثل مصر والأردن والمغرب والكويت ، وحيث أن الأردن والمغرب والكويت تخضع لحكم أسر مهيمنة ولن تفرط في الحكم بسهولة ، فإن اقرب دولة يرون حلم الخلافة ينطلق منها هي مصر حيث موقعها وقوتها وكثافتها السكانية وتحت حكم نظام يعانى من نفور شعبي ويسيطر الفساد على أركانه، وبالتالي فحكم مصر أصبح حلما يراود الإسلام السياسي ومنها للأمامية الإسلامية كما صرح المرشد الأسبق للإخوان المسلمين مصطفى مشهور لصحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ٩ أغسطس ٢٠٠٢ بقوله " لن نتخلى عن استعادة الخلافة المفقودة . "

السؤال هل هذه الاتجاهات الثلاثة منفصلة وتعمل في خطوط متوازية أم سمة تقاطع بين عملها وتعاون فيما بينها؟^٤

تنطلق الاتجاهات الثلاثة من مبدأ واحد وهو " الجهاد من أجل نصرته الإسلام " كما جاء في أهداف منظمة المؤتمر الإسلامي ، وكما حدده سيد قطب في معالمه على الطريق " الجهاد لا يمكن إلا أن يكون هجوميا " وهو ما يقرره التاريخ قبل سيد قطب .

وتقول راشيل اهرتفلد " لقد حولت الأموال البترولية السعودية جماعة الإخوان المسلمين من جماعة راديكالية صغيرة إلى حركة عالمية جهادية أفرخت الجماعات الإرهابية التي تعمل على الساحة العالمية اليوم . "^٥

ويقول السفير كيرتن ونسور " أن التلاقح بين الوهابية المحافظة اجتماعيا وثقافيا بالقطبية (سيد قطب) الراديكالية أنتج الإسلام السياسي الوهابي الذي أنتج بدوره تنظيم

^٤ من الجدير بالذكر أن جماعة الإخوان المسلمين أحد الجماعات الإسلامية ذات النشأة والتمويل الوهابي وقد اثبت الدكتور محمد حسين هيكل في مذكراته أنه في عام ١٩٣٦ لاحظ في موسم الحج أن حسن البنا مرشد جماعة الإخوان المسلمين في مصر على علاقة حسنة بالحكومة السعودية وأنه يعمل لديهم بعقد دون أن يتواجد في المملكة وهم يعاملونه كصاحب دعوة كما أن اسم الإخوان مأخوذ من جماعة الإخوان الوهابية التي قاتلت مع عبد العزيز بن سعود من أجل قمع وقتل أهل الحجاز راجع : الجزيرة الفضائية مع هيكل ، الإخوان المسلمون وتأثيرهم على الحكم ٢٠٠٦/٦/١٥ أحمد صبحي منصور ، جذور الإرهاب في العقيدة الوهابية .
^٥ راشيل اهرنفلد ، واشنطن تايمز بتاريخ ٦ يوليو ٢٠٠٧

القاعدة". ويضيف " يسود اعتقاد أن أسامة بن لادن وقع في منتصف التسعينات اتفاقا مع الأمير تركي الفيصل ، مدير المخابرات السعودي السابق ، تلتزم فيه القاعدة بعدم مهاجمة المملكة والعائلة الحاكمة في مقابل الكف عن ملاحقة بن لادن شخصيا أو المساس بقنوات التمويل للقاعدة ."^٦

وفى تقرير تمويل الإرهاب الذي أعدته للامم المتحدة في ديسمبر ٢٠٠٢ لجنة برئاسة المحقق الفرنسي جان شارل بريسيان يؤكد أن السعودية قد حولت خلال عقد واحد نصف مليار دولار للقاعدة .

ولم يحدث ذلك مع القاعدة فقط ولكن هناك مهارة سعودية عالية لتحويل الجهاد خارج أراضيها وفقا للاتفاق سالف الذكر مع الوهابيين بتصدير العنف خارج المملكة وهو ما حدث بعد دخول الأمريكيين للعراق حيث أصدر ٢٦ من علماء الوهابية السعوديين في ٢٠٠٤ فتوى تدعوا إلى الجهاد الشيعة في العراق .

وفى تقرير لها عقب ١١ سبتمبر ذكرت لوموند الفرنسية إنه إذا اعتبرنا تنظيم القاعدة شركة دولية يرأس مجلس إدارتها أسامة بن لادن فان أمراء سعوديون وشيوخ من الخليج يعتبرون أعضاء في مجلس الإدارة .

وليست السعودية وحدها التي تخلط الاتجاهات معا خذ مثلا قطر جارتها الصغيرة حيث ساعدت في عولة الفكر الإرهابي من خلال الجزيرة وفى نفس الوقت تريد إلباس الديموقراطية عمامة إسلامية لتمير سيطرة الإسلام السياسي على الحكم في الدول العربية من خلال مؤسسات لها مسميات براقية ولكنها تصب في النهاية في مشروع الإسلامية الدولية .

أما الإخوان المسلمين فقد استعملوا العنف والاعتقالات منذ نشأتهم وافرخوا معظم الجماعات الإرهابية وتراجعهم عن العنف ليس أيما بال العمل السلمي بقدر عجزهم عن مواجهة النظام

^٦ كيرتن ونسور السفير الأمريكي الأسبق لدى كوستاريكا ، مجلة " ميدل ايست مونيتور " عدد يونيه ٢٠٠٧ .

العسكري في مصر فهو تراجع تكتيكي وليس استراتيجيا ، بدليل مليشيات الأزهر و مباركتهم لخطوات حماس في غزة والتي استخدمت العنف والسحل والتمثيل بجثث المسلمين من أجل الوصول للسلطة. ولم تصدر عن الإخوان المسلمين فتوة واحدة ضد أسامة بن لادن أو الظواهري أو حتى الجزائر أبو مصعب الزرقاوى .

وهكذا تتقاطع الاتجاهات الثلاثة وتتعاون وتنسق وتغذى بعضها البعض خالطة العنف بالمال بصندوق الانتخابات في شبكة جهنمية هي ما يطلق عليه حاليا الإسلامية الدولية الوهابية ... ومن ينجح سيتوج نفسه خليفة للمسلمين وسيصلى الجميع وراءه، فمعاوية ويزيد والمأمون والسلطان عبد الحميد لم يكونوا أفضل من بن لادن والظواهري والزرقاوى ومهدى عاكف وبندر بن سلطان أو حتى الملك عبد الله بن عبد العزيز ذاته .

المحور الثاني: السلفية الجهادية الوهابية في أفريقيا نشأة والأهداف

علينا أن نتعرف على الخارطة السياسية للحركات والجماعات الإسلامية في أفريقيا وخاصة في الشمال الأفريقي، والاختلافات الفكرية والمنهجية، ثم نعرض على أهم الأفكار التي تقوم عليها الجماعة السلفية للدعوة والقتال، كأحد النماذج الشهيرة كموضوع للدراسة والبحث، وذلك من خلال استعراض أدبياتها المنشورة (المقروءة والسمعية والمرئية)، ثم نعكف على توضيح الدوافع والأسباب التي تقف وراء تغيير اسم الجماعة وانضمامها تحت لواء تنظيم القاعدة المركزي، والتعرف على ملامح استراتيجية المواجهة مع النظام الجزائري، وتوسيعها لتشمل سائر أقطار المغرب الإسلامي، وسوف نحاول رسم بعض السيناريوهات المحتملة لمستقبل منطقة المغرب العربي في ظل تنامي نشاطات السلفية الجهادية في تلك المنطقة الحيوية. تعد نشأة وتطور وتكوين هذه الجماعات السلفية الجهادية في الشمال الأفريقي من بلاد المغرب العربي الذي يضم كل من: ليبيا، والجزائر، والمغرب، وتونس، ويعتبر العام ١٩٩٨ علامة فارقة في تاريخ الحركات السلفية الجهادية، حيث أعلن فيه عن تشكيل "الجبهة الإسلامية لقتال اليهود والصليبيين والأمريكان"، وقد ضمت هذه الجبهة

في صفوفها غالبية التنظيمات والحركات الإسلامية من المهاجرين من كافة أنحاء العالمين العربي والإسلامي والذين شاركوا في الجهاد الأفغاني ضد الإتحاد السوفيتي السابق، ثم دخلت في صراع محموم على السلطة، أسفر عن سيطرة حركة طالبان عام ١٩٩٦، وقد احتضنت أفغانستان في هذه الحقبة أكثر من أربعة عشر تنظيماً سلفياً جهادياً، كان من بينها تنظيمات جهادية سلفية احتوت على عدد من المعسكرات للجماعة الإسلامية المسلحة الليبية، وجماعة المجاهدين التوانسة، ومعسكر الجزائريين بقيادة سعيد قاري، وتنظيماً للمغاربة .

ما بعد ١١ سبتمبر

وقد رجع عدد كبير من أعضاء هذه التنظيمات إلى بلدان المغرب العربي مع بداية التسعينيات، وذهب بعضهم الآخر إلى أفغانستان والبوسنة والشيخان، والتجأ بعضهم إلى أوروبا، وشكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر نقلة نوعية للتنظيمات السلفية الجهادية المغربية في أقطارها، ففي الجزائر انشقت عن الجماعة الإسلامية المسلحة عقب انحرافها وتخلي قيادات الجهاد العالمي عن دعمها وتأييدها وخصوصاً القيادات القابعة في "لندنستان"، الجماعة السلفية للدعوة والقتال، وفي ليبيا دخلت الجماعة الإسلامية المقاتلة بقيادة أبو عبد الله الصادق في صراع مع النظام الليبي، وفي المغرب تشكلت عدة خلايا سلفية جهادية نشطت بشكل ملحوظ وتمكنت من تنفيذ هجمات مزدوجة على الدار البيضاء عام ٢٠٠٣ .

القاعدة في المغرب الإسلامي "

جاء إعلان تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي مسؤوليته عن الهجمات التي استهدفت عدداً من القوافل ومراكز الجيش الوطني والشرطة، وبعض عمال شركة نقل الغاز في مناطق مختلفة من الجزائر، أسفرت عن قتل وجرح ما يقارب ١٤٠ شخصاً، وفي هذا السياق صرح وزير الداخلية الجزائري نور الدين الزرهوني بـ "أن الجماعات الإرهابية تسعى إلى إثارة

الانتباه الإعلامي قبل موعد الانتخابات التشريعية المقررة في شهر أيار القادم"، ويبدو أن الوزير الجزائري لا يقدر حقيقة وحجم الخطورة التي تهدد مستقبل الجزائر من جهة، ومستقبل المغرب العربي كاملاً من جهة ثانية، فالجزائر عقب مشروع المصالحة الوطنية لم تشهد مثل هذه الحوادث منذ أن تولى الرئيس بوتفليقة مسؤولية الحكم، الذي استطاع فرض الأمن والاستقرار من خلال إتباعه سياسة قوامها احتواء كافة الاتجاهات من الحركات الإسلامية والوطنية، بدلاً من محاربتها ومواجهتها بالقوة، كما أنه قام بمحاربة الفساد، وعمل على وضع برامج إصلاحية وتنموية جديدة، تمخضت عن سداد بعض ديون الجزائر التي بلغت ٥٧ بليون دولار .

سبب الانضمام إلى القاعدة

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو: ما هي الأسباب والدوافع التي جعلت الجماعة السلفية للدعوة والقتال، تتخلى عن اسمها القديم، وتعلن عن انصوائها تحت لواء تنظيم القاعدة العالمي، وتعمل على استئناف مواجهة النظام واستنزافه من جديد؟ وكما هو معلوم فإن الجماعة السلفية للدعوة والقتال هي إحدى الجماعات التي تنتمي إلى تيار السلفية الجهادية العالمية، وأصبح اسمها منذ ٢٤/١/٢٠٠٧ "تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي"، الأمر الذي ينطوي على تغيير استراتيجيتها في مقاتلة العدو القريب المتمثل -حسب قناعاتها- بالأنظمة العربية بعد أن وصل ذلك إلى طريق مسدود، كما بين الظواهري في كتابه "فرسان تحت راية النبي"، فلم تحقق تلك الاستراتيجية أي نجاح يذكر في أي بلد بسبب الضربات الأمنية المتلاحقة التي تلقتها هذه الجماعات، والتي أدت إلى ضعف وتفكيك معظمها وانحلالها، وهو ما دفع بهذه الجماعات إلى تبني استراتيجية جديدة، منذ الإعلان عن تشكيل "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين والأمريكان" عام ١٩٩٨ في بيشاور، وكان على رأس أولوياتها وضع استراتيجية قتال العدو البعيد (الكافر الأصيل)، ممثلاً بالغرب عموماً، والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على وجه الخصوص .

تتميز بلاد المغرب العربي (الأقصى) بأنها مترامية الأطراف، وعرة المسالك والجبال، وتمتد سواحلها على البحر الأبيض المتوسط لأكثر من ٣٠٠٠ كم، وتشرف على مضيق جبل طارق، وتحتوي على حراك سياسي إسلامي متنوع الأفكار والتوجهات (الدعوة، الاحتساب، والجهاد)، مثل جماعة الإخوان المسلمين، والجماعات الصوفية، فضلاً عن الحركة السلفية الجهادية، ويمكن القول أن بداية حركات الإسلام السياسي في المغرب العربي نشأت وتكونت من خلال تأسيس الشيخ عبد الكريم مطيع، حركة الشبيبة المغربية عام ١٩٦٣، وهي حركة تستند إلى الأفكار الجهادية المسلحة بشكلها البدائي، دون وضوح في الرؤية والتصوير، وقد سعت منذ تأسيسها إلى تحقيق القيام بانقلاب مسلح ضد النظام الملكي المغربي، وانتشرت في تلك الفترة، الطريقة "الإنقلابية" نفسها للوصول إلى السلطة في استراتيجيات التغيير لدى الحركات الوطنية والقومية واليسارية، وقد نجحت السلطات الأمنية المغربية آنذاك بتفكيك خلايا التنظيم، واعتقلت عدداً من أعضاء الحركة، ونجح الباقين بالفرار والاختباء وفي مقدمتهم زعيم حركة الشبيبة المغربية الشيخ مطيع، وتقلص نشاط الحركة بعد ذلك، وتعتبر تجربة الشبيبة من أهم المحاولات السلفية الجهادية المعاصرة في العالم العربي، وتزامنت تجربة الشبيبة مع بداية تبلور أفكار الأستاذ سيد قطب، الذي يعتبر الأب الروحي للحركات السلفية الجهادية المعاصرة، ومن المعروف أن النظام الملكي المغربي قد نجح في كبح جماح محاولات غالبية الحركات الإسلامية السياسية، في النهوض والتنامي، بحيث لم تعد مؤثرة وفاعلة داخل الحياة السياسية والاجتماعية المغربية، من خلال إتباع أساليب تتراوح بين الإغراء بالمناصب والجاه والمال، أو التهديد بالسجن والإقامة الجبرية، أو من خلال النفي والإبعاد، ما ساهم في إجهاض هذه المحاولات الجنينية في مهدها قبل أن يشتد عودها، وتقوى شوكتها .

وانعكست عودة الأفغان العرب إلى أقطار المغرب العربي مع بداية التسعينيات - وبروز جبهة الإنقاذ الجزائرية، ثم الانقلاب على الانتخابات، وبدء الصراع المسلح في الجزائر، ونشاط الجماعة الإسلامية، وجماعة الجهاد في مصر، والجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا - على حركة سمت نفسها "الجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب"، حيث قامت بتوجيه عدة ضربات استهدفت بعض السياح الأجانب، وبعض الأماكن التي يمتلكها ويتردد عليها اليهود، مبررة إياها بسبب سيطرة الجالية اليهودية المغربية على وسائل الإعلام، ووسائل الإنتاج المختلفة، وقيامها بدفع النظام المغربي إلى التطبيع مع إسرائيل، وقد انتشرت أفكار السلفية الجهادية بين المغتربين من الجالية المغربية في أوروبا بشكل ملحوظ، ورحل الكثير من هؤلاء إلى أفغانستان، وقاموا بتأسيس معسكرات تدريب خاصة بهم، وساهموا أثناء الاحتلال الأمريكي لأفغانستان بالقتال ضد قوات الحلفاء، وقتل واعتقل وشرد العديد منهم، كما شهدت الدار البيضاء أواخر عام ٢٠٠٣ عدة انفجارات نفذها انتحاريون من أتباع السلفية الجهادية المغربية، قامت السلطات المغربية على أثرها باعتقال المئات ممن ينتمون إلى التيار السلفي، على رأسهم الشيخ محمد الفزازي، والشيخ أحمد رفيقي، والشريف الحسن بن علي الكتاني، والصحفي زكريا بو غرارة، وغيرهم ممن لا علاقة له مباشرة بهذه التفجيرات، وقد سربت رسالة من داخل سجن القنيطرة المركزي، بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٣ حملت توقيع عبد الإله الفزازي، حيث شرح فيها معاناته وظروف اعتقاله السيئة، وأنه لليوم لا يدري لماذا تم سجنه، وأنه لا علاقة له ولا لوالده ومعظم السجناء بالهجمات التي نفذت في الدار البيضاء، وقد أخبره ضباط جهاز المخابرات المغربي (دي.أس.ت)، وما زال سجيناً حتى هذه اللحظة .

تعود بداية فاعلية الحركة السلفية الجهادية إلى مصطفى بويعلي، الذي أسس "حركة الدولة الإسلامية" في الجزائر عام ١٩٧٣، وكان بويعلي قد شارك في ثورة التحرير الجزائرية عام ١٩٥٤ ضد الاحتلال الفرنسي، ورفض الاستمرار معها نتيجة تبني المنهج العلماني الاشتراكي، واتهم قيادات الثورة باختطاف وحصد ثمرة جهاد الشعب الجزائري المسلم، فعمل بويعلي على تأسيس هذه الحركة لاستئناف الثورة والجهاد من أجل تحكيم شرع الله في الجزائر، وقام بتوجيه تهديد صوتي إلى الرئيس الشاذلي بن شديد، وأنذره بالخروج على النظام وإعلان الجهاد عليه، وقد قتل بويعلي عام ١٩٧٦ على يد أجهزة الأمن الجزائرية، وبعد هذه الحركة، لم تشهد الساحة الجزائرية أي تجربة لحركات الإسلام السياسي، سوى تواجد حركة الإخوان المسلمين بشقيها العالمي والمحلي، حيث أنها تتبع التنظيم العالمي للجماعة، عرفت باسم "حركة مجتمع السلم" التي ترأسها الشيخ محفوظ النحناح (رجل السعودية في الجزائر)، ومحلية عرفت باسم "حزب النهضة الإسلامية" والتي تزعمها الشيخ عبد الله جاب، وكان هنالك تواجد للسلفية التقليدية التي لا تتدخل بالعمل السياسي وتستخدم نفس الشعار التي تطرحه هذه المدرسة السلفية "من السياسة عدم التدخل بالسياسة"، وفي المقابل تواجدت السلفية الجهادية من خلال استمرار مؤيدي الشيخ مصطفى بويعلي الذين رفضوا الانخراط في العمل تحت مظلة جبهة الإنقاذ الإسلامية لاتباعها المنهج الديمقراطي للوصول إلى السلطة، وظهرت أيضاً عدة جماعات وتنظيمات صغيرة كان أهمها: الأفغان الجزائريين بقيادة "القاري سعيد"، وجماعة الطلبة التي ترأسها الشيخ محمد سعيد، والتي تأثرت بأفكار مالك ابن نبي، والسلفية الإصلاحية التي تحولت فيما بعد إلى جهادية وقامت بمواجهة النظام، وكان يتزعمها الشيخ علي بلحاج (مرشد الإخوان بالجزائر) الذي أصبح فيما بعد الرجل الثاني في الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تستند إلى السلفية الجهادية في منهجها، ولم تكن على درجة كافية من الفهم الشرعي والتنظيمي، بل انتشر فيها الجهل بالدين

والسياسة معاً، فضلاً عن تواجد الكثير من الإسلاميين المستقلين الفاعلين في الساحة الجزائرية والذين انضموا إلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ .

الحركات الإسلامية في تونس

وفي تونس فإن تواجد حركات الإسلام السياسي، يعود إلى نشأة " الجماعة الإسلامية التونسية" عام ١٩٦٩، والتي تعتبر امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين المصرية، إلا أنها تأثرت إلى حد كبير بالمنهج القطبي فيما يتعلق بمفهوم " الحاكمية"، الذي يقوم على إعادة الاعتبار إلى تفعيل الحكم بما أنزل الله، مما جعل هذه الجماعة تتسم بوضوح رؤيتها وتصوراتها السلفية الجهادية المبكرة، والتي اصطدمت مع الواقع السياسي على صعيد النظام، وعلى صعيد الحركات والأحزاب والجماعات الوطنية والقومية ذات الطابع اليساري، وإن تشدد الجماعة تجاه مجمل القضايا في الوسط التونسي الليبرالي جعلها معزولة تماماً عن المجتمع وعن التفاعل مع المشهد السياسي التونسي، وأدى المنهج الذي تتبعه الجماعة الإسلامية التونسية إلى ضعفها، وابتعادها عن التأثير في الحياة الدينية والسياسية في المجتمع التونسي، بسبب أنها قدمت نفسها وصية على المجتمع التونسي، ولم تقدم نفسها على أساس أنها شريكاً وطرفاً سياسياً أو فكرياً تستمد شرعيتها من خلال المحاججة والبرهان وإقناع عوام التونسيين، وقد تنبه قادة ما سمي بـ " حركة الاتجاه الإسلامي" إلى هذا الأمر وعلى رأسهم الشيخ راشد الغنوشي إلى أهمية اللجوء إلى أسلوب الإسلام السياسي بدل الأعمال القتالية، بمعنى أنها تحولت من حركة إسلامية راديكالية إلى حركة سياسية على غرار الجماعة الأم في مصر، لا تضع تطبيق الشريعة ضمن أولوية أهدافها وغاياتها. وعلى الرغم من ذلك فقد واجه النظام التونسي هذه الحركة بحظر أنشطتها واعتقال قادتها، باعتبارها حركة سياسية غير شرعية، وبذريعة أنها تحوي في عضويتها بعض القيادات الذين ينتمون إلى السلفية الجهادية أمثال الشيخ صالح كرز، الذي ما زال يخضع للإقامة الجبرية في فرنسا، وقد حاولت حركة النهضة الانقلاب على النظام

من خلال استخدام الوسائل السلمية، وهذا ليس غريباً عليها، حيث أن زعيم الحركة الشيخ راشد الغنوشي يتصف بالجرأة، وسعة أفقه السياسي، فضلاً عن أن الحركة نجحت في ضم عدد من ضباط الجيش لمساعدتهم في الانقلاب العسكري على السلطة السياسية التي يتزعمها الرئيس الحبيب بورقيبة آنذاك، ولعل الخلط والغموض المنهجي الذي تتسم به الحركة من جهة، وتردد بعض قادة الحركة في المضي في هذا المخطط من جهة أخرى، أفشل محاولتها في السيطرة والوصول إلى السلطة، كما أن النظام الأمني التونسي نجح باختراق الحركة وإحباط محاولتها الانقلابية، وساهم كل ذلك في إسراع قيام وزير الداخلية آنذاك والرئيس التونسي الحالي " زين العابدين بن علي" بالانقلاب الأبيض على الرئيس التاريخي لتونس "الحبيب بورقيبة"، وقام الرئيس الجديد " زين العابدين بن علي" بخطوة بمنتهى الذكاء في تحييد خطر حركة النهضة من خلال الإفراج عن قياداتها، حيث أفرج عن ما يقارب مائتي ضابط من المنتمين للحركة، وعن العديد من قياداتها السياسية، بعد فشل الحركة الذريع في انقلابها العسكري، وعلى ما يبدو فإن الواقع ينبىء بولادة حركات راديكالية تعمل في إطار من الممانعة والمقاومة تتسم بالتشدد والعنف، فقد شهدت أفغانستان عدداً من المجاهدين التوانسة، في إطار السلفية الجهادية، انضم بعضهم إلى القاعدة، والتحق عدد منهم في حركات جهادية في أقطار مختلفة .

الحركات الإسلامية في ليبيا

وعلى صعيد عمل حركات الإسلام السياسي في ليبيا فقد ظهر نشاطها من خلال جماعة الإخوان المسلمين، ومن خلال نشاط الحركة السلفية الجهادية، التي صنعت وأعدت بأفغانستان، حيث نجحوا في ترتيب صفوفهم وتشكيل معسكرات تدريب، وعرف عنهم أنهم من أكثر المجاهدين العرب التزاماً وانضباطاً في التدريب والإقبال على تعلم التعاليم الوهابية، وما بين الأعوام ١٩٨٩ - ١٩٩٢ تشكلت الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا، التي كانت تصدر مجلة "الفجر"، وتقوم بإصدار عدد من الكتابات والرسائل، ومنها كتاب بعنوان

“ الخطوط العريضة للجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا”، حيث يتضح أثر جماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية المصريتين على هذه الأفكار، وانتشر العديد من أعضائها حالهم حال بقية المتطوعين العرب في السودان واليمن وسائر أنحاء العالم الإسلامي، وتمكنوا من استقطاب عدد كبير من الليبيين في الفترة ما بين ١٩٩١-١٩٩٥، وقد شارك بعض أعضاء الجماعة في الحرب التي أعلنتها الجماعة الإسلامية المسلحة (الجزائرية) ضد النظام الجزائري، ثم لقوا مصرعهم على أيدي قادة الجماعة الإسلامية المسلحة فيما بعد أثناء تزعم أبو عبد الرحمن أمين هذه الجماعة، الذي اتهمهم بحمل أفكار مبتدعة، وأن عقيدتهم منحرفة، وكانت هذه الفترة (١٩٩٤) بداية انحراف الجماعة الإسلامية الجزائرية عن الدين، وفي نفس العام ١٩٩٤، بدأت الجماعة الليبية المقاتلة نشاطاتها العسكرية التي تستهدف أركان النظام الليبي عموماً، وأعلنت الحرب على النظام الليبي وبداية الانتشار في مناطق الجبل الأخضر الذي يقع شرقي البلاد، وقامت باتخاذ أسلوب مقاتلة النظام من خلال استراتيجية حرب العصابات، لكن محاولاتها باءت بالفشل، وتم قتل زعيم الجماعة عبد الرحمن خطاب، وتم أيضاً اعتقال العديد من المنتمين للجماعة، وأشارت الجماعة في بياناتها بتلك الفترة بعد الهزيمة العسكرية التي منيت بها في ليبيا بأنها غيرت استراتيجيتها من الهجوم الاستراتيجي إلى التراجع التكتيكي، حيث انتهت بعدها نشاطاتها العسكرية داخل ليبيا، وانضم العديد من قادتها إلى الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين والأمريكان، التي يتزعمها أسامة بن لادن، أمثال أبو الليث الليبي، وأبو الفرج الليبي، وأبو يحيى الليبي، وغيرهم، ولم يلاحظ أي نشاط عملي أو إعلامي للجماعة بعد سقوط نظام طالبان .

حيث تميزت هذه الفترة (نهاية الثمانينات وبداية التسعينات) ببروز قوة الأفغان العرب ، وانهيار اليسار وقرب سقوطه ، ووجود فائض وخبرة قتالية يمكن نقلها خارج الصراع الامريكى السوفيتي في أفغانستان إلى صراع من أجل الاسلامة الدولية الوهابية لصالح العربية السعودية، وفي الجزائر وسمح الرئيس بن جديد عام ١٩٨٩ بترخيص الأحزاب السياسية في الجزائر، وقد تنبه بعض قادة الجماعات السلفية الوهابية إلى هذه الفرصة التاريخية وقاموا بتأسيس "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" ، وكان على رأسهم الشيخان عباسي مدني، وعلي بلحاج (رجلي العربية السعودية)، وقد حققت الجبهة فوزاً باهراً في الانتخابات البلدية والبرلمانية، بحيث أفزع هذا الفوز المنتفعين من السلطة والمتنفذين في قيادة الجيش وقاموا بانقلاب ضد الجبهة، وحظرت نشاطات الجبهة واعتقل قادتها وأعضاؤها، ودخلت الجزائر في مرحلة جديدة خطيرة في تاريخها الحديث، وبتناول هنا أهم محاورها التي تمثلت بانشقاق بعض قادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، الذين قرروا تشكيل ما عرف بـ "جيش الإنقاذ" بهدف مواجهة النظام من خلال استخدام القوة، وجاءت هذه الخطوة بعد حركة العصيان المدني التي شاركت فيها أحزاب وطنية وقومية ودينية، وشملت هذه المشاركة: جبهة الإنقاذ، وحركة النهضة، وحركة الإخوان المسلمين، والحركة من أجل الثقافة والديمقراطية (الأمازيغية التي يتزعمها حسين آيت أحمد) ، ودفعت هذه الأحداث عدداً من قيادات الجماعات الإسلامية الوهابية إلى الانشقاق عن الجبهة وانتهاج استراتيجية جديدة تركز على مواجهة النظام الجزائري بالقوة المسلحة، وعلى رأس هذا الانشقاق مدني مزراق، وعبد القادر شبوطي، وعبد الرزاق رجام، ومحمد سعيد مخلوفي، ومحمد السعيد، وفي أواخر عام ١٩٩١ وبداية عام ١٩٩٢ انشقت جماعة أخرى عرفت بانتماؤها للسلفية الجهادية، عرفت باسم "الجماعة الإسلامية المسلحة" ، تميزت عن جيش الإنقاذ بقيادتها العمل العسكري المسلح ضد النظام، وبرز من أوائل أمراء الجماعة عبد الحق

العيادية، الذي اعتقل في المغرب أثناء قيامه بشراء السلاح للجماعة، ثم تولى القيادة بعده أبو عبد الله أحمد، والذي قتل في ظروف غامضة، فضلاً عن مقتل قاري سعيد بنفس الظروف .

أمين: ومنهج السلفية الوهابية المسلحة

وفي أواخر عام ١٩٩٤ تولى شخص آخر عرف باسم "أبو عبد الرحمن أمين" إمارة الجماعة الإسلامية المسلحة، وتميزت فترة إمارته بالابتعاد عن المنهج الدعوى، من خلال الأعمال التي لا تمت لها بصلة، فعمل على قتل القادة التاريخيين للتيار الإسلامي الجزائري، أمثال الشيخ محمد السعيد، و الشيخ عبد الوهاب العمارة، وغيرهم، وأصدر العديد من الفتاوى التي تبيح قتل نساء وأطفال العاملين في الدولة، والعاملين في الإعلام، وبدأ بإصدار فتاوى التكفير لعموم المسلمين الذين يخالفون منهجه (وهي الوسيلة نفسها التي قام به الوهابيين في حق باقي المسلمين في الحجاز)، حتى تم قتل أبو عبد الرحمن أمين على يد أتباع الشيخ محمد السعيد الذين عرفوا باسم "جماعة جبل الأربعاء"، واستلم إمارة الجماعة شخص آخر كان أكثر إجراماً وسفكاً للدماء عرف باسم "عنتر الزوابري"، استمر على نفس نهج الجماعة المنحرف، وقتل عام ٢٠٠٣، بعدها أصبحت الجماعة مفككة وضعيفة وآلت إلى الانهيار، ودمرت معها جهود الجهاد الاسلامى الذي استمر قرابة قرن من الزمان منذ النضال ضد المستعمر الفرنسي بشكل كامل، من خلال ممارساتها التي عملت على إفقاد الثقة بالمشروع الإسلامى النهضوي في الجزائر، وأرعبت المسلمين وغير المسلمين من الصورة السلبية المخيفة التي علقت بأذهانهم والتي عكستها هذه الجماعة، وفي ظل هذه الظروف المأساوية ظهرت جماعة أطلقت على نفسها "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" بزعامه حسن خطاب، الذي بدأ بحملة دعوية تهدف إلى تصحيح الانحراف الذي طرأ على الجماعة المسلحة، ونفى أفكار التكفير والغلو والتطرف، وركز على مواجهة النظام، وإبراز أهداف وغايات الجماعة وأولوياتها المتمثلة في إقامة الدولة الشرعية، وبدأت الجماعة السلفية بتنفيذ عدد من عمليات الاختطاف الموجهة للأجانب وافتدائهم بالأموال الهائلة، ويمكن

القول أن الجزائر عاشت فترة من الهدوء والاستقرار الأمني النسبي بعد مقتل عنتر الزوايري، حتى ظهر نشاط ما عرف باسم "تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي".

ميثاق عمل الجماعة السلفية

وللوقوف على أفكار هذا التنظيم وقراءته سوف نتناول ميثاق العمل الذي طرحته الجماعة السلفية للدعوة والقتال، وهو الميثاق الذي تبناه تنظيم القاعدة ببلاد المغرب العربي، والذي أوضح فيه منهجه وأهدافه وغاياته ووسائله، ويعود الفضل في تأسيس هذه الجماعة إلى قائدها أبو مصعب عبد الوود الذي عمل على جمع شتاتها ولممة أعضائها، وضبط منهجها، وتصحيح ما أسماه بـ "الانحراف الذي وقعت فيه الجماعة الإسلامية المسلحة" وتعتبر الجماعة السلفية للدعوة والقتال نفسها جماعة إسلامية تتبع المنهج الشرعي الصحيح، وأن تأسيسها ضرورة من الواجبات التي لا يتم الواجب إلا بها، فقد ذكرت الجماعة في مقدمة ميثاقها، أن "الحقيقة الواضحة الصريحة المتجلية لكل من عرف دين الله هي أنه لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا نظام"، فالجماعة بحسب هذا الوصف تندرج في إطار الحركات السلفية الجهادية، والتي تعني: حركة سياسية جديدة ومذهبا فكريا معاصرا، تهدف إلى إعادة الخلافة الإسلامية لتشمل العالم الإسلامي، كحركة سياسية عسكرية، وتسعى إلى تخليص العالم الإسلامي من الاستعمار وتعمل على توحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة، أما مذهبها الفكري فيتمثل - حسبها- في الدعوة إلى اعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية، وأتباع السلف الصالح أسس النهضة الجديدة من خلال وصفها لعقيدتها بأنها عقيدة السلف الصالح من الصحابة الكرام وتابعيهم وتابعي هؤلاء، وعلى رأسهم رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم، وترى الجماعة السلفية للدعوة والقتال أنه لا يجوز تكفير المسلمين بمجرد ارتكاب ذنب كبيراً كان أم صغيراً ما لم يستحلّونه، كما أن دماء المسلمين وأموالهم معصومة بعصمة الإسلام، وأن من وقع من المسلمين في الكفر لا يكون كافرا بمجرد ذلك حتى تقوم عليه الحجّة، إذ أن التكفير له شروط وموانع، وأن الإيمان يزيد و

ينقص ، يزيد بالعلم النَّافع و العمل الصَّالح ، وينقص بالذنوب و المعاصي ، وأن الأسس التي قامت من أجلها الجماعة عدم وجود إمام للمسلمين (أمير المؤمنين) ، فلا تسقط فريضة الجهاد، وبحسب الجماعة "فإن عُدِم الإمام لم يؤخَّر الجهاد" بل كان سببا في السَّعي لإقامة الخلافة و تحكيم كتاب الله ، وبينت أن المقصد الذي قامت لأجله الجماعة سعيا منها لتحقيقه هو: حتَّى يكون الدِّين كلَّه لله، و أن تكون كلمة الله هي العليا و ذلك ضمن إطار علميٍّ قائم على أصول و قواعد منهج أهل السنَّة و الجماعة الاعتقادية والعلمية والعملية .

أما موقفها من الجماعات الإسلامية المنتشرة في العالم العربي والإسلامي فترى فيه تكاملاً وتعاوناً على البر والتقوى، فإذا اختلفت اتجاهات النشاط والعمل مع غيرهم من الجماعات العاملة، باختلاف الأولوية والأهمية، أو اختلف الظروف والمحيط الذي تتواجد فيه، فإنها تتخذ من هذا الاختلاف وسيلة تكامل وقوة، لا سبب تطاحن وضعف، وموقفها من النظام الجزائري يظهر جلياً من خلال اعتباره نظاماً مرتدداً ممتنعاً عن تطبيق الشريعة، وتتعامل معه على أساس العداوة والقتال .

الهيكل التنظيمي لـ تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي "

تتسم الهيكلية التنظيمية للقاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بالتعقيد والشمول، وهي تعكس صورة العمل الجماعي المؤسسي، حيث تتكون قيادة التنظيم من أمير التنظيم، ومجلس الأعيان، ورؤساء اللجان والهيئات، الذين يشكّلون ما يعرف بمجلس شورى التنظيم، وتقوم مهامه على تنسيق العمل بين مختلف المستويات القيادية، ويحتوي التنظيم على بقية أعضاء التنظيم، حيث يشترط في العضوية أن يكون العضو مسلماً سليم العقل والأعضاء التي لا تعيقه عن الجهاد، وأن لا يلتزم بالعمل مع أي تنظيم آخر، فضلاً عن البيعة التي يعطيها لأمير التنظيم، بالالتزام على السمع والطاعة في المعروف، أما الشروط الشرعية التي بينها التنظيم الواجب توفرها في أمير التنظيم حتى يعطى البيعة، فهي: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والذكورة، والحرية، والعدالة، وسلامة العقيدة والمنهج، والعلم الشرعي وهذا

الشرط تعتبره الجماعة من شروط الكمال وليس الوجود، والأقدمية والبلاء الحسن، وسلامة الأعضاء والحواس، والتجربة والخبرة الميدانية، وهناك جماعة الأنصار، وهم شبكة الأفراد على مختلف اختصاصاتهم، الذين يقومون بدعم وإعانة التنظيم، وحول مهام أمير التنظيم (أبو مصعب عبد الوود) فمن واجباته القيام بإدارة كامل شؤون التنظيم، وتنسيق العمل بين مجلس الشورى من جهة، ورؤساء الهيئات، وأهل الرأي، وذوي الخبرات من جهة ثانية، والإشراف على تنفيذ القرارات والتعليمات الصادرة من قبله، وحماية أصول وضوابط وأهداف التنظيم الشرعية من الخلل والتحريف، وتعيين أعضاء وأمرء الهيئات والأقسام بحسب المهام والمسؤوليات، واستخلاف نائب الأمير، الذي يقوم بإدارة شؤون التنظيم في حال ما إذا قتل الأمير الأصيل، أو أسر أو مرض مرضاً مزمناً يعيقه عن أداء مهامه، لحين اختيار أهل الحل والعقد أميراً جديداً للتنظيم، وإصدار القرارات والتعليمات والتوجيهات المتعلقة بسير أمور التنظيم بشكل عام، ويستثنى من تلك القرارات المصيرية التي لا يحق له اتخاذ القرارات فيها منفرداً، بل يحتاج إلى قرار جماعي يتخذه جميع أو غالبية أعضاء مجلس الأعيان، ومن هذه القرارات : المساس بأصول ومبادئ النظام الداخلي (الميثاق) للتنظيم، وفتح جبهة قتالية جديدة، وعقد صلح أو هدنة مع الكفار الأصليين، وعزل الأمير نفسه عن الإمارة، والتعامل مع الجهات الخارجية، وعزل أي عضو من أعضاء أهل الحل والعقد، أو تحويله إلى المحكمة الشرعية، ويحق للأمير عزل هذا العضو فقط من المهمة المكلف بها خارج إطار مجلس أهل الحل والعقد، وتشمل واجبات أمير التنظيم ما يلي :

العدل بين المجاهدين في أداء الحقوق، والرفق وحسن الظن بالمجاهدين، والنصح والحرص على سلامتهم، وإعداد المجاهدين مادياً ومعنوياً، وذلك من خلال التربية ونشر العلم وتوفير أسبابه، وإحياء فريضة الجهاد في نفوس المجاهدين، والحفاظ على أسرار التنظيم، والقدوة العملية الحسنة، والحفاظ على وحدة ومصحة التنظيم، وتوحيد الجهود وجمع شمل التيار السلفي الجهادي في بلاد المغرب العربي، وفيما يتعلق بعزل الأمير أو إنهاء

إمارته فتتم من خلال توافر أحد الأسباب التالية : الوفاة، والكفر البواح، واختلال العقل، وفقدان حاسة من حواسه التي تعيقه عن أداء مهامه، والخيانة، وإتيانه ببدعة متفق عليها بين علماء أهل السنة والجماعة، والأسر مع اليأس من فك أسره، والفسق الظاهر، ومن ناحية ثانية بين الميثاق، حقوق أمير التنظيم على الجند، وتشمل طاعته بالمعروف، ونصرته على الحق، ونصحه، وعدم إفشاء أسرار التنظيم، وحسن الظن به، وتوقيره، وكف اللسان عنه، والدعاء له .

المهام والصلاحات في التنظيم

وتعتبر إمارة التنظيم، إمارة حرب في التوصيف الفقهي للجماعة لا إمارة دولة، حيث أنها تسعى إلى تمكين التنظيم من خلال حرب الاستنزاف الموجهة ضد نظام الحكم، وتنحصر مهام الإمارة وأحكامها في : تدبير شؤون الحرب، وولاية القضاء، وحماية البيضة، وحماية الحریم، وتقسيم الفيء والغنائم، وجباية الزكاة والصدقات، وإقامة الحدود، ويرأس التنظيم مجلس الشورى، الذي يتكون من : مجلس الأعيان (أهل الحل والعقد) ، وأمير التنظيم، ورؤساء الهيئات التي تشمل: اللجنة الشرعية، واللجنة العسكرية، واللجنة الطبية، واللجنة المالية، واللجنة القضائية، واللجنة الإعلامية، ولجنة الديوان، ولجنة العلاقات الخارجية، ويضم مجلس شورى التنظيم في عضويته، ما يوصف بأنهم أهل الحل والعقد من أصحاب الرأي السديد، وأهل الاختصاصات، والخبرات الذين يرأسون الهيئات واللجان، ويقوم المجلس بمساعدة أمير التنظيم على إدارة شؤونه، وسياساته، ومصالحه، والذب عن مبادئه، وتقديم النصيحة والمساعدة في اتخاذ القرارات الهامة، ولا تعتبر الشورى ملزمة لأمير التنظيم، بل يمتلك الأمير أحقية اتخاذ القرارات منفرداً بحكم إمارته، أما بخصوص مجلس الأعيان أو ما يعرف بـ "أهل الحل والعقد"، الذي يترأسه الشيخ "أبي الحسن رشيد البليدي"، والذي يتولى مهمة جمع أفراد مجلس الأعيان أو جلهم (ما زاد على النصف) ، في حالات الطوارئ، كأن يمرض أو يؤسر أو يموت أمير التنظيم، ليتم اختيار أمير جديد

للتنظيم يخلف الأمير السابق، وقد أصدرت اللجنة الإعلامية للتنظيم شريطاً مصوراً له، حمل عنوان "وقفات مع واقع الأمة"، شخص فيه واقع الأمة الإسلامية عموماً، وواقع المسلمين في بلاد المغرب العربي، وبين فيه الأسباب التي تقف وراء خروج التنظيم (القاعدة) على النظام .

أما مجمل الصلاحيات والمهام التي تقوم بها الهيئات المختلفة المنبثقة عن مجلس شورى التنظيم، فإن صلاحيات "اللجنة الشرعية"، التي ينبثق عنها فرع الدعوة والإرشاد، وفرع البحوث العلمية والفتاوى الشرعية، وصلاحيات رئيسها هي: تحديد برنامج عملي للجنة، وإنشاء المدارس الشرعية، وإعداد أفراد التنظيم فكرياً وعقدياً، والرجوع إلى العلماء في المسائل الشائكة، والبحث في المسائل العلمية المستجدة، أما مهمة فرع الدعوة والإرشاد فتتخصر في نشر العلم الشرعي من خلال استعمال جميع الوسائل الدعوية المشروعة، ومهمة فرع البحوث العلمية والفتاوى الشرعية البحث في المسائل الشرعية المستجدة والفصل فيها، باستثناء المسائل التي تصدر باسم التنظيم التي يشترط فيها حضور جميع أفراد اللجنة الشرعية، وثاني اللجان في التنظيم هي اللجنة القضائية، والتي يعتبرها التنظيم من ركائزه الأساسية، ويتبع لها قاضي الجماعة، الذي يعين من قبل أمير التنظيم، وهو مستقل في مباشرة مهامه، ويعين قضاة المناطق بالتعاون مع أمرائها، وتعتبر أحكامه قطعية ونافذة، وثالث هذه اللجان، اللجنة العسكرية، وهي من دعائم التنظيم التي تعكس قوته ومنعته، ويرأسها قائد عام، ونواب يرأسون الفروع المنبثقة عنها، وهذه الفروع هي: فرع التدريب والتجنيد، وفرع التموين والتمويل، وفرع التصنيع، وفرع الاستطلاع، وفرع الهندسة العسكرية، وفرع التخطيط والدراسات العسكرية، وتتولى اللجنة مهمة الإشراف والإدارة والتنفيذ، لكل ما يتعلق بالشؤون العسكرية للتنظيم، والتنسيق مع الفروع الأخرى من أجل ضمان تحقيق سلامة العمل، ومهمة فرع التدريب والتجنيد هي: تحديد البرنامج التدريبي للأفراد والقادة الميدانيين، وفحص المستجدين في التنظيم من حيث الكفاءة

والقدرة، ومن الناحية الأمنية، أما مهمة فرع التمويل والتمويل فهي : تعبئة المجاهدين عسكرياً وتأمين الطعام والعدة والعتاد، ومهمة فرع الاستطلاع هي : مراقبة واستطلاع أهداف العدو، وتحديد الأهداف المنتقاة، وتأمين الملاذ الآمن لقيادة وأفراد التنظيم، ومهمة فرع الهندسة العسكرية، هي : تحديد الطرق التي تسهل عملية تنقل وحركة المجاهدين، وتحديد مواقع الملاجئ ومراكز التدريب، ومهمة فرع التخطيط والدراسات العسكرية، هي : دراسة وتدريب وتطوير الإستراتيجية القتالية للتنظيم التي تستند على حرب العصابات، وتحديد الأهداف والوسائل الهجومية المناسبة لها، من حيث العدة والعتاد والعدد، ورسم الخطط الحربية عند التنفيذ، أما مهمة فرع التصنيع، فهي : تحضير وتصنيع وتطوير الأسلحة والعتاد والمتفجرات، وأما مهمة اللجنة المالية التي تتكون من مجموعة من الأفراد ذوي الخبرات والتخصصات في المجال المالي، والمعروفين بالصدق والأمانة والزهد، ويتولون الإشراف على إدارة شؤون مال التنظيم وفق الأصول الشرعية، من خلال معرفة الحكم الشرعي في طرق كسب المال الحلال، وتجنب الاكتساب المحرم، ومعرفة أوجه صرف المال، ويرأس اللجنة أمين عام، ويتفرع عن هذه اللجنة الفروع التالية: فرع المحاسبة الذي يقوم بحفظ السجلات وتقديم التقارير المالية لقيادة التنظيم، وفرع بيت المال المسؤول مباشرة عن حفظ مال التنظيم، وضبط الدخل والمصروف منه، وفرع الدراسات الاقتصادية والاستثمارية، ويقوم بدراسة المشاريع الاستثمارية المقترحة من قبل أمين المال، وتحديد البرنامج العملي لتنفيذها وطرق الاستفادة من المال، وتتحدد الموارد المالية للتنظيم فيما يلي : الغنيمة والفيء، والزكاة، وصدقات التطوع، والضرائب، والأوقاف، وفيما يتعلق بمهمة اللجنة الطبية فهي معالجة الجرحى وتقديم الرعاية الصحية للمرضى، من أدوية ونصائح وإرشادات، والقيام بالعمليات الجراحية اللازمة للجرحى والمرضى، وينبثق عنها الفروع الطبية التالية: فرع التكوين الصحي، وفرع الصيدلية، وفرع التمريض، وفرع الصيانة والتجهيز، وفرع الخدمات، والفرع المالي، أما اللجنة الإعلامية فهي هيئة تنفيذية تتولى

الإشراف على إنتاج وتوزيع كل ما يصدر عن التنظيم من الإصدارات المقروءة والسمعية والمرئية، وتتكون هذه اللجنة من الفروع التالية : فرع الصيانة والتجهيز، وفرع المراقبة والرصد، وفرع الوسائل الفنية والتقنية، وفرع الأرشيف، وفرع الطباعة، ومهمة مسئول العلاقات الخارجية في التنظيم هي فتح قنوات الاتصال مع شتى الهيئات والأفراد، خارج البلاد بالتنسيق مع أمير التنظيم، بهدف التعريف بأهداف وغايات التنظيم، ومحاولة استقطاب أكبر عدد ممكن من المؤيدين والداعمين، والقيام بمهمة التفاوض مع الآخرين بعد تكليف أمير التنظيم بذلك، وتنحصر مسؤولية ديوان التنظيم، بإحصاء الجند من قتلى وجرحى وأسرى، والاحتفاظ بسجلات تتعلق بأفراد وقيادة التنظيم .

٢٠٠٧/١/٢٤ والنضمام الرسمي للقاعدة

إن الهيكلية التنظيمية للقاعدة في بلاد المغرب العربي، تتسم بالشمول والتكامل من خلال المهام والواجبات التي تتولاها الهيئات والأقسام، ومن خلال سعيها نحو إقامة عمل مؤسسي يشبه إلى حد كبير عمل مؤسسات الدولة، فننظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي يضع على رأس أولوياته الانقلاب على الحكم والسيطرة عليه، من أجل إقامة الدولة الإسلامية، وهي الغاية الأساسية لتنظيم القاعدة المركزي، بزعامة أسامة بن لادن، الذي أعلنت الجماعة السلفية للدعوة والقتال أنها قامت بعدة اتصالات منذ زمن من أجل التوصل إلى اتفاق ومباركة زعيم القاعدة من أجل الانضواء تحت لوائها والعمل تحت إمرتها، وقد أسفرت هذه الاتصالات بتاريخ ٢٤/١/٢٠٠٧ عن قبول الجماعة السلفية للدعوة والقتال والإذن بتغيير اسمها القديم، ليصبح "تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي" ، بإمارة أبي مصعب عبد الوود، وقد جاء في بيان البيعة، الأسباب التي دعت إلى التحول، وهي توسيع قاعدة العمل لتشمل سائر أقطار المغرب العربي، بعد أن كانت تقصر عملها على الجزائر، وهي إشارة إلى تحول الجماعة السلفية من قصر القتال على العدو القريب المتمثل في النظام الجزائري ليشمل سائر بلدان المغرب الإسلامي، التي تضم تونس، والجزائر، وليبيا،

والمغرب، وموريتانيا، ويأتي هذا التغيير في استراتيجية الجماعة ليتوافق مع تنظيمات القاعدة الإقليمية، كتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وقاعدة الجهاد في جزيرة العرب، وغيرها، وربما شعار الجماعة هو الأكثر دلالة على التحولات الجذرية التي طرأت على التنظيم الجزائري القطري، فقد احتوى على شعار القاعدة المركزي، الذي تختزله بقوله تعالى "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" ، وتعتبر هذه الآية هي الأكثر دلالة والأكثر تداولاً في استخدامات القاعدة، حيث الحرب ممتدة في الزمان والمكان ولا تقتصر على قطر بعينه، كما أن الراية السوداء التي تحتوي على كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، ترمز إلى دولة الخلافة ورايتها، أما البنادق على جانبي الشعار فهي تأكيد على تبني منهج القوة والجهاد بأدوات حديثة، بدلاً من السيوف والرماح المستخدمة تراثياً، ويرمز الكتاب الذي يحتوي على قوله تعالى "إن الحكم إلا لله" ، إلى المنهج العلمي للحركة الذي يشدد على اتباع الكتاب والسنة ومنهج السلف، وأهمية العلم إلى جانب العمل، وذكر الآية للدلالة على كفر وردة الأنظمة المعاصرة، وتمثل خارطة المغرب العربي، مجالاً حيويًا لعمل الجماعة إقليمياً بعد أن كان قطرياً، دون إهمال العدو الأبعد المتمثل في الغرب بشكل عام وأوروبا بشكل خاص، وفرنسا بشكل أخص، نظراً للعلاقات الاستعمارية بين فرنسا وسائر أقطار المغرب العربي .

تطور العمل السلفي الجهادي

يعتبر التحول الذي طرأ على الجماعة السلفية للدعوة والقتال من تنظيم قطري إلى تنظيم إقليمي، أحد التطورات في مسيرة الجماعات السلفية الجهادية، في العالم والمغرب العربي بشكل خاص، فقد استطاعت الجماعة السلفية من خلال هذه العملية استقطاب عدد كبير من أتباع السلفية الجهادية والقاعدة في أقطار مختلفة كانت تعمل بشكل منفرد تحت مسميات مختلفة واستراتيجيات متنوعة، تزامنت مع تطورات سياسية عديدة في سائر أنحاء العالم العربي، كما حدث مع تنظيم القاعدة في العراق، الذي وسع قاعدته لتشكل ما يسمى "دولة

العراق الإسلامية" ، وظهور وانهيار "المحاكم الإسلامية في الصومال" ، التي بدأت تعيد تنظيم صفوفها من أجل مقاومة الاحتلال الإثيوبي والإطاحة بنظام الحكومة الانتقالية في الصومال، فضلاً عن النجاحات العسكرية التي تحققتها حركة "طالبان" في سائر أنحاء أفغانستان على القوات الأمريكية وحلف الناتو، والحكومة الأفغانية، وقد أظهر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، قدرة فائقة على التكيف مع الوضع الجديد، من خلال عدد من العمليات النوعية في الجزائر، والعمليات التحضيرية التي شملت تونس والمغرب، وتظهر الإصدارات المرئية والمسموعة للتنظيم قدرات فنية وتقنية عالية في تغطية أنشطتها وعملياتها، توازي مجمل الإنتاج الإعلامي لمؤسسة "السحاب" ، التابعة لتنظيم القاعدة المركزي، وتتفوق عليها في كثير من الأحيان، كما أن الإنتاج العلمي والإعلامي للتنظيم الجديد يتمتع بدرجة عالية من الكفاءة والدقة، ومن المتوقع أن تشهد منطقة المغرب العربي نشاطاً مكثفاً للسلفية الجهادية، وعمليات نوعية في الأيام القادمة، وربما ينجح التنظيم في نشر أيديولوجيته العقدية والقتالية في بلدان أفريقيا الوسطى، ومنطقة القرن الأفريقي في ظل توتر الوضع السياسي والاجتماعي والإنساني في إقليم دار فور في السودان، والنشاط المزدهر للحركات السلفية في هذه المناطق التي كانت تعتبر حتى وقت قريب خالية من نشاط القاعدة .

الخاتمة

إن المرء ليعجب كيف أن النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق؛ وجعل من قتلها كمن قتل الناس جميعاً، يعجب ممن يلوي نصوص القرآن وحديث الرسول ليسوغ أعماله الإجرامية التي لا تسند مقاومة ولا تدفع احتلالاً، بل يدعي أهلها أن عملهم من صلب العلم، ولعل أول العلم الذي يجب أن يسود كل وسط أن فقه التقتيل والاغتيال لا موجب شرعي له، وأن أصحابه أولى أن يقام عليهم حد الحرابة من أن يعد فعلهم جهاداً، وقد استساع أعداء الدين فعلهم، فمكروا بهم، وزجوا بهم في المعركة الخطأ؛ ثم بعدها يعتقلونهم ويمنون على الناس

أن قد حموهم من شرورهم، فإذا بمن أراد أن ينقض مداميك سلطة تحكم بغير ما أنزل الله قد منحها شرعية ما كانت تحلم بها. أن العلم الذي لا يثمر عملا صالحا عدمه خير من وجوده، وإنما تقالت الآيات الكريمات جامعة بين الإيمان والعمل الصالح، لأن العلم بلا عمل وسيلة بلا غاية، والعمل بلا صلاح فعل بلا هداية .

لقد ابتلي المسلمون بأناس ينتسبون إليهم زورا وبهتانا وهم أناس جلف الطباع؛ غلاظ القلوب؛ بدويو المزاج، عنيفو التصرف، وتجدهم النموذج المحبب الذي تتناقل وكالات الإعلام العالمية أنشطته وصوره وتصريحاته، فيتوهم بعض الناس أنهم النموذج الذي يمثل الإسلام في طهرانيته، وجهاده في عدوانيته، ويكفي أن يستمع خالي البال إلى تصريحات بعض رموزه النارية ليستعيد بالله من هؤلاء الإسلاميين الذين لا يدفعون إلا بالتالي هي أخصن .

إن التنظيمات الإسلامية خبرت هؤلاء منذ أمد بعيد؛ منذ كانوا يرون أن العمل التنظيمي الإسلامي بدعة، وأن الديمقراطية كفر، وأن الخروج على ولاة الأمر خروج عن جماعة المسلمين وعن الدين. وكانت أنظمة الاستبداد سخية في المد لهم؛ تطبع كتبهم في الحلل الزاهية وتعممها على المكتبات بثمن بخس، وكانت مواضيعها تدور حول المس الشيطاني، والتداوي بالأعشاب، وتصحيح العقيدة، ومفردات التوحيد (التثليثي) .

وإذا كان مبنى تنظيمات الحركة الإسلامية التاريخية على الدعوة إلى الله عز وجل، فقد رجع عند هؤلاء أنهم قضاة يطلقون الأحكام وتسعى جماعاتهم إلى تنفيذ الحكم الشرعي مع غياب السلطة الشرعية المخول لها ذلك لتقويض أركان الأمن في كل الأقطار وشيوع الفوضى وإقامة الإمارات الإسلامية الوهابية على أنقاض هذه الدول .

والغريب أن كل هذا العنف المدمر يأتي من أناس يذهب بهم الظن أنهم قد ملكوا جماع العلم، وأن كل من خالفهم وجبت استتابته أو كفر بصريح اللفظ، لا يمنع من تكفيره أن يكون المرء من العلماء المجلين، أو المجاهدين المستضعفين، أو من فضلاء المفكرين... بل

تجد منهم فرقا همها التنقيب في صدور الناس لمعرفة ما يقولون في الذات والصفات، والتوسل والكرامات، ليمنحوهم صكوك الاعتراف بحسن الاعتقاد، أو يتوعدهم بأشد العذاب. إن الفقه التكفيرى المتوسل بالعنف ليس وليد اليوم؛ بل فصوله كتبت منذ أمد بعيد في تاريخ المسلمين، من ابن تيمية وابن عبد الوهاب وها هم أبنائه ابن الشيخ وابن باز وابن عثيمين وابن جبرين هم القادة الفكرين لاسامة بن لادن وشيوخ المحاكم الإسلامية وهم خير من يعين العربية السعودية وبندر وعبد الله إلى بلوغ أهدافهم .

إعداد / محمد دنيا *

لم تسلم دولة من دول العالم من إيذاء النظام السعودي الذي يستغل وجود الأماكن المقدسة الإسلامية تحت سيطرته في الحصول على مكانة مرموقة بين الأمم – خاصة بين الشعوب الإسلامية التي لا تعرف شيئاً عن التاريخ المخزي لذلك النظام – وهو لا يستحقها.

وقد عانت الدول الفقيرة في أفريقيا وآسيا من تجاوزات ذلك النظام الغاشم الذي يستغل حاجة تلك الدول للأموال ، وإذا حاولت دولة من تلك الدول أن يكون لها رأي مخالف للمملكة السعودية في أي شأن دولي يعبر عن مصالحها – الدولة – تصبح تلك الدولة جاحدة وناكره للجميل السعودي وإذا استمرت في الاستقلال برأيها المعبر عن مصالحها ، تبدأ الأبواق السعودية في الربح لهذا النظام المارق وتبدأ معاييرته بفقره من خلال سرد للأموال التي تلقتها تلك الدولة كما حدث مع السودان بعد حرب الخليج الثانية .

ويستخدم آل سعود الأضاحي التي يقوم بنحرها ملايين المسلمين في الحج كسلاح ضد الدول الإسلامية الفقيرة التي تريد أن تنفرد بقرارها الوطني وهو حقها ، فتعطي أضاحي المسلمين للدول التي ترضى عنها والتي تدور في فلك النظام السعودي .

هذه الدراسة تحاول رصد الدور السعودي في زرع الفتن في بعض البلدان الأفريقية .

السعوديون بمهلون معارضين لبيبين

لم تشهد العلاقات السعودية الليبية أي استقرار باستثناء فترات قصيرة فقد ظلت متوترة بسبب الدعم السعودي كما تقول ليبيا للمعارضين والذي يعود إلى الثمانيات .

فقد ذكرت مجلة (العهد) القطرية في عددها (٤٧٩٠) بتاريخ ٢٧/٢/١٤٠٦ هـ نفى مصدر رسمي سعودي ما نشرته صحيفة أمريكية عن قيام السعودية بتمويل بعض الليبيين المقيمين خارج ليبيا ضد نظام الحكم في بلادهم .

* صحفي وكاتب مصري

وكانت العديد من الصحف الأمريكية قد نشرت في شهر أكتوبر ١٩٨٥ أن الحكم السعودي يمول عدداً من المعارضين الليبيين بالمال والسلاح كما يمول مجموعات أخرى من المعارضين لبعض الأنظمة العربية ، حتى تلك المحسوبة على أمريكا ، من أجل إيجاد قدم نفوذاً أوسع للآل سعود ، وفي شهر أكتوبر نفسه نشرت مجلة وحدة المخابرات الاقتصادية للايكونومس خبر الدعم السعودي لأعداء الثورة النيكاراغوية (CONTRAS).

وبعد فترة انتقد القذافي الحكومة السعودية لموقفها من أزمة النفط ، وما سبته من أضرار للدول الإسلامية ودول العالم الثالث المنتجة للبترول ، ومما جاء في انتقاده :

(إن هذه الدولة – السعودية – لا تفكر في مستقبلها وتبدد ثروة الشعب عبر اشتراكها في مؤامرات الدول الامبريالية).

وإزاء هذا الانتقاد أعلنت المملكة السعودية عن قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الجماهيرية الليبية ، وذكرت الخارجية السعودية أن سبب ذلك هو التصريحات التي أطلقها الزعيم الليبي ، واتهمته بأنه مس فيها كرامة الإسلام .

وكان العقيد القذافي قد قال أيضاً أن على الشاه " خالد " أن لا يجعل السعودية قاعدة عسكرية لأمريكا وطالب بسحب (الرادارات الطائرة) (الاواكس) الجاسوسية منها ، لأنها تركزه الهيمنة الإمبريالية الأمريكية على العالم العربي ومنطقة الخليج الإسلامي .

وقد وقفت السعودية – لفترة طويلة – حائلاً في وجه عودة العلاقات بين مصر والسعودية ، يذكر أن العائلة المالكة السعودية سعت من قبل وخلال عهد الرئيس السابق أنور السادات ، لأبعاد مصر عن ليبيا حسب تعليمات واشنطن .

وهو ما نفذه السادات وكان الصحفي أنيس منصور قد أشار في مجلة (أكتوبر) القاهرية في عرض مذكرات السادات إلى (أن العقيد معمر القذافي أمسك بأنور السادات داخل الكعبة وطلب منه أن يقسم بالله بأن تتم الوحدة كما أرادها عبد الناصر ، إلا أن السادات رفض بعدما وعده الملك فيصل بدفع كل ما ينوي القذافي دفعه لمصر ، بل وأكثر .

وكانت قيمة شرم الشيخ العربية في مارس ٢٠٠٣ التي عقدت قبيل الغزو الأمريكي للعراق قد شهدت تلاسنا بين القذافي وولي العهد السعودي عبد الله بن عبد العزيز (الملك الحالي) إثر انتقادات الأول للوجود العسكري الأمريكي في الخليج العربي .

وفي ديسمبر ٢٠٠٤ طلبت السعودية من السفير الليبي مغادرة الرياض بعد أن سحبت سفيرها من ليبيا التي اتهمتها بالتورط في مؤامرة لاغتيال ولي العهد السعودي آنذاك الأمير عبد الله بن عبد العزيز . ونفت السعودية هذه الاتهامات ، وفي مطلع يوليو ٢٠٠٥ اتهمت السلطات الليبية السعودية بتنظيم مؤتمر المعارضة الليبية في لندن الذي طالب برحيل العقيد معمر القذافي .

السودان

أنهى الموقف السوداني الراض للوجود الأمريكي في الخليج بعد الغزو العراقي للكويت ، شهر العسل بين جهة الإنقاذ الإسلامية التي تحكم السودان والنظام السعودي الذي كان من اشد المؤيدين لهذا النظام .

بدأ النظام السعودي في زرع الفتن في البلاد ، فقد دعم متمردى الجنوب " المسيحيين " ضد "المسلمون" "السنة" في الشمال لتقسيم السودان إلى الجنوب الغني بالبتروال والثروات المعدنية الأخرى .

تعود القضية إلى بداية التسعينات عندما وجه الرئيس السوداني الفريق عمر حسن البشير اتهاماً مباشراً وسافراً للحكومة السعودية بأنها زودت المتمردى الانفصاليين في الجنوب بالسلح ، وقال في تصريحات نشرتها الصحف السودانية في نهاية شهر مايو ١٩٩٢ أن سفنا سعودية تنقل أسلحة موجهة إلى الجيش الشعبي لتحرير السودان حاولت تفريغ حمولتها في مرفأ بلد أفريقي صديق .

(وأضاف البشير قائلاً : أن هذا البلد - الذي لم يسمه - رفض استقبال السفن السعودية ، وأشار إلى اتصالات أجرتها السعودية مع بلدان أفريقية مجاورة لكي توفر قواعد للمتمردين الجنوبيين على أراضيها .. ألا أن هذا الطلب رفض أيضاً .

وقد كشفت مصادر سودانية أن البلد الأفريقي المعني الذي رفض تفريغ حمولة هذه السفن هو كينيا ، وقالت أن سفينة سعودية محملة بذخائر من مصنع الخرج السعودية وأسلحة أخرى من مخلفات حرب الخليج قد رست في ميناء ممباسا الكيني بهدف تفريغ حمولتها ونقلها إلى قوات قرنق ولكن الحكومة الكينية رفضت رفضاً قاطعاً السماح للسفينة السعودية بإفراغ حمولتها ، كما قاومت ضغوطاً وإغراءات كثيرة من الولايات المتحدة ودول الخليج ، وأبلغت الحكومة السودانية بجميع التفاصيل .

وقد نفت السعودية - كعادتها - عبر وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز ما أعلنته الخرطوم ، من أن السعودية تقدم مساعدات إلى المتمردين في جنوب السودان ، وقال الأمير سلطان بأن (المملكة لا يمكن أن تقبل مثل هذا القول) .

وكما جرت العادة في تعامل المملكة مع خصومها من الدول العربية ، فقد تضمن البيان الرسمي السعودي قائمة بالمساعدات التي قدمتها المملكة إلى السودان خلال الفترة الماضية ، وراحت تحصي الفرش وأكياس السكر والأرز وباقي المساعدات الاقتصادية ، وبعد أن عدد المصدر السعودي المسؤول ما قدمته المملكة من مساعدات ، أضافت : (وفي ضوء كل ما تقدم إيضاحه ، هل يعقل أن تقوم دولية بكل هذه المساندة الأخوية الإسلامية تجاه دولية شقيقة لا ترجو منها جزاءً ولا شكوراً ثم تنقلب عليها فتحاربها ببعث أسلحة إلى أولئك المتمردين من أعداء السودان الذين يحاولون شق السودان بفصل جنوبه من شماله ، كما افتراه حاكم السودان على شعبه زوراً وبهتاناً ، ولعله قبض ثمن هذا الموقف المشين من رأي الفتنة صدام حسين كما سبق أن قبضته من قبل عندما تنكر لعربته وإسلامه (واعتبر المصدر المسؤول هذه الحقائق التي أورها في البيان) بمثابة صفة في وجه حاكم السودان) .

وردت الخارجية السودانية فوراً على البيان الرسمي لسعودي قالت فيه ، بأن المملكة عدت مساعدتها للسودان منذ الاستقلال ، ووصفت البيان بأنه (يمتلئ بالبن والأذى ، ويتحدث بلسان المحسن والمتصدق ، وقال البيان أن الشعب السوداني لا ينسى عون المملكة قل أو أكثر ، وقد سبق للسودان قبل أن يظهر النفط في المملكة أن أعانها هي أيضاً ، وهذا هو واجب المسلمين .

وحول القروض التي قال البيان السعودي أن السودان لم يسدها وتبلغ نحو أكثر من مليار دولار ، قالت الخارجية السودانية (أن الحكومة السعودية التي تمن علينا الآن ، ظلت وعلى غير ما أدعت متشددة في أمر سداد القروض ، بل وأنها أوقفت قروضها منذ عام ١٩٨٣ ولم تعاود السحب عليها إلا في عام ١٩٨٧ وبعد أن وقع معها السودان اتفاقاً لمعالجة المتأخرات ، علماً بأن آخر قرض قدمته كان في عام ١٩٨٨ (أي قبل وصول النظام الحالي إلى الحكم) .

وأضاف البيان : وفي الوقت الذي وجد السودان تفهماً لظروفه الاقتصادية من دول أخرى ، بعضها أعفى ديونه وبعضها أعاد جدولتها ، فإن أفق الحكومة السعودية لم يتسع مطلقاً للتعاون مع السودان بالبرونة التي أبدتها تلك الدول ، وقد أوقف الصندوق السعودي للتنمية السحب على قروض التنمية منذ عام ١٩٨٨ ومضت الحكومة السعودية إلى حد تجميد تبرعات المواطنين ابان كارثة السيول ، علماً بأنها ليست أموال حكومية وعلى الرغم من ان السودان قد رأى الاستفادة منها فيما ينفع مواطنيه ويخفف معاناتهم .

وبشأن موضوع تمويل المملكة لقرنق بالسلح ، جدد بيان الخارجية السودانية اتهامه للحكومة السعودية بشأن الموضوع ، وقدم بعض المستندات حول الأمر ، وقال أن لديه عدد آخر من المستندات ، كما شكرت الخارجية السودانية في بيانها الحكومة الكينية التي رفضت السماح للباخرة السعودية الحاملة للأسلحة .

وأعتبر البيان أن الحكومة السعودية دخلت في تفاصيل قروضها لسودان من أجل (إبعاد الأنظار عن الموضوع الأساسي ، وأن) مجرد كلمة النفي لن تبرئ ساحة الحكومة السعودية من مثل هذا الجرم ، وحكومة السودان تملك الأدلة والوثائق الدامغة لفعلة الحكومة السعودية فالحكومة السودانية لا ترسل القول جزافاً .. ولقد سكتت حكومة طويلاً على الذي اللسان والتشهير الذي سلطته الحكومة السعودية من خلال أعلامها ودعمها للمعارضة ، ولكن حين تمادت الحكومة السعودية إلى حد العمل على إزهاق الأرواح لم تجد الحكومة السودانية طريقاً غير فضح تأمر الحكومة السعودية ووضع الحقائق أمام المواطن السعودي الشقيق ليدرك أفعال حكومته والمدى الذي ذهبت إليه في معاداة بلد شقيق تأخذ عليها الحكومة السعودية رفض الوصاية والتبعية وترفض له النطق بكلمة الحق وامتلاك قراره).

ومضت بيان الخارجية السودانية قائلاً بأن الحكومة السودانية (حين تجمعت لديها الأدلة في ساحة القتال على ضلوع حكومة السعودية في التآمر وتقديم العون العسكري للمتمردين ، آثرت تنبيه المملكة دون إعلان اسمها صراحة ، حيث اكتفت الحكومة السودانية بالتلميح فقط إلى امتلاكها دليل تورط دولية خليجية ، وألان وقد اتهم البيان السعودي حكومة السودان بالكذب والبهتان فأننا نقول لحكومة المملكة السعودية أسماء وجنسيات بواخر الدمار التي بعثت بها لعون المتمردين والموعد والتاريخ الذي فقلت فيه السعودية ميناء ينبع لشحن السلاح ، كما أن لدينا أسماء قباطنة تلك البواخر).

ومضى البيان قائلاً : (أن الحكومة السعودية قامت بتصنيف شحنات الأسلحة على باخرتين أحدهما تحمل اسم (ماي لورد **LDRD MY** ووصلنا إلى ميناء ممباسا في منتصف مايو ١٩٩٢ وأن السفينتين ترسوان حالياً باطراسي تحت رقم ١٥ و ١٦ وتقبعان تحت حراسة مشددة من الأمن الكيني .. وهناك أفراد من مجموعة قرنق يقيمون بمنزل ضيافة تابع لبعثة كمبوتي التبشيرية في انتظار موافقة الحكومة الكينية لتفريغهما ، وقد

أرسلت الحكومة السعودية الشحنات تحت البوليصة رقم (٣٨٤٤٩٨) رقم بوليصة شحن أخرى ٣٨٤٥٠٠ بتاريخ ١١/٥/١٩٩٢.

لصالح الجيش الشعبي لتحرير السودان عن طريق القس (كوان اندرسون) المقيم بمدينة كيتالي ، ويتولى القس (اوفر كنغارد) مهمة تخليص الأسلحة نيابة عن القس (كوان اندرسون) أما الوكيل المسؤول عن الباخرتين فهو رجل أعمال سعودي الجنسية ظل يتعامل في نقل الأسلحة إلى مناطق الحرب في أفريقيا).

وأخيراً ختم البيان الرسمي السوداني قواه بأن لدى الحكومة السودانية لدلة أخرى بأنواع أسلحة والذخائر التي تحمل شعار المملكة سبق أن أمدت بها السعودية حركة التمرد ، هذا إلى جانب وثائق أخرى لا تزال الحكومة السودانية تحتفظ بها).

وكان الملك فهد قد كلف تركي بن فيصل بالاتصال بكل من فريق قونق زعيم المتمردين في الجنوب والرئيس الإثيوبي المخلوع مغييس لفتح قنوات اتصال عبرهما مع كامل فصائل المعارضة السعودية والتحضير لإقامة حكومة معارضة سودانية مؤقتة في مصر ودعم قوات قرنق بالمعدات والأسلحة اللازمة بعدما أوقفت ليبيا دعمه وتسليحه .

وكانت السفن السعودية تستغل الحراسة الدولية الكبيرة التي أمنها الحشد الدولي في الخليج للإبحار بحرية من ميناء الجبيل عبر البحر الأحمر إلى الموانئ الإثيوبية وتفريغ حمولاتها التي قدرت قيمتها مصادر عسكرية غربية ب ٣٠٠ مليون دولار ، وهي تضم شاحنات قاطرة مدافع ميدان ، ومدافع مضادة للطائرات ، وآلاف المركبات الصغيرة من نوع (لاند كروز) فضلاً عن عشرات آلاف الصواريخ المضادة للدروع من طراز (لأو).

وكانت وزارة الدفاع الأمريكية إلى أنشئت خلال تلك الفترة - جسر جوي يربط قاعدة الظهران بإحدى القواعد العسكرية الجوية في كينيا نقل ما قيمته ٦٠٠ مليون دولار من المعدات (الطبية) لصالح المتمردين في الجنوب السوداني وقد عثرت القوات السودانية في بعض المدن الجنوبية التي حررتها من قوات قرنق ، على آلاف بدلات القوات الخاكي

العسكرية وعليها شعار (النخلة والسيوفين) اللذين يرمزان إلى القوات المسلحة السعودية ، حيث يعتقد أن هذه الملابس كانت ضمن شحنات مساعدات تضمنت أغذية وأسلحة ومعدات تم نقلها إلى قوات قرنق التي تقاتل من أجل انفصال جنوب السودان ، ويبدو أن الشحنة المذكورة تم نقلها على عجل في وقت يعاني فيه جيش التحرير الشعبي من هزائم اشتداد قبضة الحكومة على إقليم يعاني الجنوب ومعاقلة المتمردين ، حيث لم يتمكن السعوديون من إزالة شعارهم قبل شحنها إلى المتمردين ، وتصل المساعدات السعودية إلى المتمردين السودانين عبر كينيا .

وهكذا أصبح نظام الحكم في السودان مصدر إزعاج شديد للمملكة ، الشعور بعد المواقف التي اتخذتها الحكومة السودانية بشأن الغزو العراقي للكويت ، وتأييد الموقف العراقي في مواجهته مع قوى التحالف الغربي الذي أتخذ من المملكة منطلقاً له لتدمير الإله العسكرية العراقية ، وطرد القوات الصدامية من الكويت .

وقالت وكالة الأنباء السودانية أن الخرطوم تملك (وثائق) بل وتعرف أسماء قباطنة السفن التي نقلت الأسلحة وأنواع الأسلحة والذخائر التي أرسلتها السعودية بالفعل إلى المتمردين ، وأكد المصدر أن (أي نفي من قبل الحكومة السعودية لتورطها في إرسال مساعدة عسكرية إلى حركة التمرد الجنوبية لن يبرئ ساحة الرياض من هذا العمل الإجرامي) وزعم المصدر نفسه أن السلطات السعودية شحنت الأسلحة من ميناء ينبع السعودي على البحر الأحمر في سفينتين أحدهما تسمى (ماي لورد).

وتابع أن السفينتين وصلتا ميناء خومباسا الكيني في منتصف أيار (مايو) الماضي ترسوان تحت رقابة صارمة للأمن الكيني وعناصر الجيش الشعبي لتحرير السودان في انتظار تصريح تفريغ شحنتيهما .

وقال البيان (أن السودان يملك أسماء وجنسيات بواخر الدمار التي بعثت بها المساعدة المتمردين والموعد والتاريخ اللذين شحن فيهما السلاح من ميناء ينبع ، كما لدينا أسماء

قباطنة تلك البواخر ، كما زعم البيان (أن الحكومة السعودية قامت بتصنيف شحنات الأسلحة على اخرتين أحدهما تحمل اسم ماي لورد وصلتا إلى ميناء مباسا في منتصف أيار (مايو) ١٩٩٢ وترسوان حالياً في الرصيفين ١٥ و ١٦ تحت حراسة مشددة من الأمن الكيني وأفراد من مجموعة قرنق يقيمون بمنزل ضيافة تابع لبعثة كميوني التبشيرية في انتظار موافقة الحكومة الكينية لتفريقيهما وقد أرسلت الحكومة السعودية الشحنات ببوالص شحن رقم ٣٨٤٤٩٨ و ٣٨٤٥٠٠ بتاريخ ٥/١١ لصالح الجيش الشعبي لتحرير السودان عن طريق القس أوفر كتغارد مهمة تخليص الأسلحة نيابة عن الباخرتين فهو رجل أعمال سعودي الجنسية ظل يتعامل في نقل الأسلحة وله خبرة سابقة في مهام نقل السلاح إلى مناطق الحرب في أفريقيا).

وختم المصدر بأن (لدى الحكومة السودانية أدلة أخرى بأنواع السلاح والذخائر التي تحمل شعار المملكة سبق أن أمدت بها السعودية حركة التمرد هذا إلى جانب وثائق أخرى لا تزال الحكومة السودانية تحتفظ بها).

وحيا البيان كينيا (الشقيقة) على (موقفها الشجاع والنبيل) و (رفضها تفريغ شحنة السفينتين في موانئها) وكان الفريق عمر حسن البشير رئيس مجلس ثورة الإنقاذ الوطني السوداني أتهم في ٢٨ أيار (مايو) الماضي الرياض بمحاولة تسليم أسلحة إلى رجال حرب العصابات الجنوبيين ونفت السعودية هذه الأنباء رسمياً .

وقال البيان أن السعودية (أوقفت قروضها منذ عام ١٩٨٣ ولم لا تعاود السحب عليها إلا في عام ١٩٨٧ وبعد أن وقع معها السودان اتفاقاً لمعالجة المتأخرات ، وأن آخر قرض قدمته كان في عام ١٩٨٨) أضاف (ثم أوقفت الصندوق السعودي للتنمية السحب على قروض التنمية منذ عام ١٩٨٩ ومضت الحكومة السعودية إلى حد تجميد تبرعات المواطنين أبان كارثة السيول ، علماً أنها ليست أموالاً حكومية).

سياسة الشيكات

أصبحت المملكة خلال تلك الفترة تشعر بأنها غير قادرة على التعايش مع النظام السوداني بشكله الحالي ، لذا بدأت تزيد الخناق على هذا النظام ، فقد اتهمها وزير الخارجية السوداني - وقتها - على سحلول بأنها تقوم بحملة لإلغاء اجتماع وزاري للمؤتمر الإسلامي مقرر في الخرطوم .

ونقلت صحيفة ، الانقاذ الوطني السوداني عن الوزير قوله أن السعودية اقنعت جامبيا - دولة أفريقية - بتقديم اقتراح يطالب بإلغاء الاجتماع المقرر للمنظمة في الخرطوم ، وقال الوزير السوداني أن السودان ترفض مثل هذه المبادرة لأن قرار الدعوة إلى اجتماع وزاري في الخرطوم اتخذ بالاجماع وإلغاؤه يجب أن يتم بالطريقة نفسها ، مشيراً إلى أن الإلغاء سيشكل سابقة في تاريخ المنظمة .

واتهم الوزير سحلول منظمة المؤتمر الإسلامي بالتواطؤ والرضوخ للضغط السعودي لأنها أبلغت الدول الأعضاء بالدعوة متأخرة ستة شهر .

من جهتها وجهت صحيفة الانقاذ الوطني السودانية انتقادات عنيفة لحكومة المملكة وقالت أنها تنتهج سياسة الشيكات المصرفية ، لدفع دول أفريقية صغيرة ، جامبيا للتشويش على السودان .

وكان قرنق دينغ المتحدث باسم المتمردين في جنوبي السودان ، الجيش الشعبي لتحرير السودان قد ذكر لوكالة رويتر أن طاهر بيور التابع لحركة قرنق سيزور السعودية ودول الخليج في محاولة لكسب تأييد تلك الدول المتعاطف لحركته .

ويسعى بيور لإقناع الدول الخليجية أن حركة قرنق لا تعادي الإسلام ، طالباً مزيداً من الدعم .

السودانيون مغضوب عليهم

وخلال تلك الفترة رفضت السفارات السعودية في العديد من الدول الأعضاء تأشيرات للسودانيين لتأدية العمرة والحج ، فقد تقدم عشرات منالسودانيين العاملين في الجماهيرية

الليبية بطلبات إلى سفارة (خادم الحرمين الشريفين) في طرابلس للحصول على (تأشيرة لتأدية العمرة) .

طلب منهم القنصل العجيلي تعبئة عشرات الاستمارات والرد على مئات الأسئلة ، ثم طلب منهم ان يعودوا بعد أيام ففعلوا .

وتكرر السيناريو : أسئلة من كل من هب ودب ، أمك ، أبوك ، لماذا جئت إلى ليبيا؟ هل لك علاقة بحركات أصولية سودانية أو سعودية ؟ هل لك أصدقاء ومعارف في المملكة ؟ ماذا تفعلون ؟ أين يشتغلون ؟ وما هي اتجاهاتهم السياسية؟ ثم طلب منهم القنصل مراجعته بعد أسبوع ، وحل الموعد .

واستبشروا خيراً ، وكان ريد سيادة القنصل موجزاً جداً في هذا لا فيزا ، وعليكم الذهاب إلى الخرطوم وتقديم طلبات جديدة لدى سفارتنا هناك ، ولم يفهم المراجعون سبب ذلك ، فأن بعضهم يشتغل في ليبيا منذ سنوات .

وكان سر رفض سفارة (خادم الحرمين الشريفين) في طرابلس منحهم تأشيرة الدخول إلى الجنة هو تلقي القنصل توجيهاً مكتوباً من سعادة السفير بخط يده جاء فيه بالنص (الوثيقة) : (الأخ العجيلي .. تحية .. السودانيون مغضوب عليهم فعليهم لاحصول على التأشيرة من الخرطوم ، وشكراً) .

بواسطة الشاب الوهابي

وكانت المملكة التي شاركت بفعالية في إسقاط حكومة الصادق المهدي الديمقراطي ، سياسياً واقتصادياً ، نفسها تعتقد أن السودان ستكون مزاجماً ومنافساً لنشاطاتها الدينية هناك ، خاصة وأن للجبهة مؤسسات دينية نشطة في تلك الأنحاء ، وبشكل عام فأن المملكة تريد ان تبقى وحدها النموذج الديني السني في العالم الإسلامي ، وهي لا ترتاح من وجود أي نظام الحكم في المملكة نفسها ، فضلاً عن أن الأصولية الإسلامية – بتعبير الغرب – باتت مستهدفة أكثر من أي وقت مضى ، ويهم نظام الحكم السعودي المشاركة في إضعاف الموجة

الدينية في العالم الإسلامي ، لأنه يراها تحمل النقيض لأفكاره وممارساته السياسية ، ولأن حربها أصبح من مهماته في النظام الدولي الجديد ، بعد أن فرغ هو والغرب من حرب الشيوعية .

أسلحة بالمليارات ضد من ؟..

في تعليقها على النهم السعودي في شراء الأسلحة ترى الباحثة المعارضة لنظام آل سعود الدكتورة مضاوي الرشيد إن نظام آل سعود يصرف على التسليح مبالغ خيالية كل عام دون أن يستخدم من تلك الأسلحة شيئاً .

وأضافت إن هذا النظام ومن خلال الإحصاءات التي نشرها النظام نفسه صرف في العام ٢٠٠٣ م مثلاً أكثر من ١٨,٧ مليار دولار ، بينما لم تصرف الصين التي تعتبر من بين الدول العظمى في العالم سواء من حيث الوزن الدولي أو السياسي وحتى البشري إلا ٢٢,٤ مليار دولار ، كما لم يصرف الكيان الصهيوني إلا ٧,٤ مليار دولار ، وإيران ٣ مليار دولا .. وقالت (إن مثل هذه الإحصاءات تجعلنا نستغرب.. فنحن نعرف أنه خلال الخمسة عشر عاماً الماضية اعتمد نظام آل سعود على قوات خارجية أنا أسميها مرتزقة في الدفاع عن أمنه القومي وعلى حدوده، ومن هنا فهذه الميزانيات تذهب كل عام هدراً وليس للدفاع ، ولم نجد لها أي دور في هذا الأمر، وإنما ربما هي تصلح للاستعراضات العسكرية التي تحصل والتي يتباهى فيها النظام بما يمتلك من أسلحة دون القدرة على إمكانية استخدامها ، كما أنها في الواقع لا توفر الحماية المطلوبة .

لعل العملات الضخمة التي تأتي من وراء تلك الصفقات واستخدام تلك الأسلحة في تأجيج الفتن في البلاد الإسلامية هي السبب في إبرام تلك الصفقات .

تسهيلات سعودية للقوات الأمريكية في الصومال

بعد حرب الخليج الثانية تحولت القواعد العسكرية السعودية إلى مراكز إسناد للعمليات العسكرية الأمريكية في الصومال البلد المسلم السني فقد أخذ الجيش الأمريكي يستخدم قواعد عسكرية سعودية في جدة والطائف من اجل دعم القوات العسكرية في الصومال .
وإذا كانت المملكة العربية السعودية نجحت في التستر على دورها في دعم أمريكا والحلفاء فيما يخص عملية الحظر الجوي في العراق، لكن الأمر فيما يخص دورها في الصومال قد انكشف بسرعة .

وقد قام التيار السلفي في المملكة بتوزيع منشور يهاجمون فيه الملك فهد بسبب دعمه للولايات المتحدة الأمريكية في احتلالها للصومال في بداية التسعينات ومطالبته بالإصلاح ، وقد جاء في هذا المنشور : هل يريد (فهد) أن نترك سنة الله ورسوله (ص) وسيرة الصالحين من عباده في سبيل أن يرضى هو وأعوانه عنا ؟

أم يريد المسلمين أن يتخلوا عن فرائض واحكام وأساسيات دينهم الحنيف ؟ لماذا تستجيب وباشارة أمريكية واحدة للغزو الصليبي وتزج بأبنائنا واخواتنا لمحاصرة البلد الإسلامي ومقاتلة المسلمين في الصومال المنكوب ، كل ذلك تغطية للغزو الأمريكي لبلاد المسلمين .

فشل الدور السعودي

عاد الدور السعودي من جديد في نهاية العام الماضي ٢٠٠٦ بعد أن نجح الشعب الصومالي في دحر أمريكا واذنا بها في التسعينيات .

عاد هذا الدور من خلال المحاكم الإسلامية التي لم تكذ تستوي على عرش السلطة الوثير حتى أزيحت عنها على مرأى ومسمع العالم أجمع الذي اكتفى بنقل ومتابعة مسلسل الانهيار المثير بصمت مريب ، بعد أن اعطت الولايات المتحدة الضوء الأخضر لاثيوبيا لتدخل الصومال ولتختفي المحاكم دون مقدمات – بعد ان اختفى الدعم السعودي المشروط بالرضا الأمريكي – هكذا إذن انهارت وبشكل سريع ومبهر حكومة المحاكم الإسلامية وفر زعمائها ، وقادتها ، وأنجزت البلاد إلى مرحلة من الفوضى غير الخلافة ، وإثر فراغ

السلطة الذي خلفه الهروب الجماعي لقادة المحاكم التي اتخذت من شكل الحكم الطالباني المتزمت انموذجاً لها للحكم ، وسادت عقب ذلك أعمال النهب والسلب واستبيحت المناطق المحررة لتسقط البلاد في دوامة جديدة من الفوضى والعنف والأفق المفتوح على شتى الاحتمالات .

ولم يترك " الملا" شيخ شريف شيخ أحمد ، رئيس المكتب التنفيذي للمحاكم الإسلامية في الصومال ، أي مجال للحدس والتأويل ، حين أعلن عن انسحاب قواته من العاصمة الصومالية مقديشو ، ويشكل هذا الانسحاب ، وبهذه السرعة مفاجأة إستراتيجية عسكرية ، ومن العيار الثقيل ، لكل من عول على استمرارية هذا النظام ، ذي الصبغة الوهابية . ويرى د. إبراهيم نصر الدين الخبير بشؤون إفريقيا ، أن أحد أسباب السقوط السريع لقوات المحاكم الإسلامية الصومالية في مواجهة القوات الإثيوبية على المناطق التي سيطرت عليها هو رفعها الراية الوهابية في التعامل مع الناس يعني أنهم لم يدركوا فكر الواقع ولا التعامل مع فكر الواقع وإنما راحوا يرفعوا شعارات عن تطبيق حدود بعد أن ظنوا أنهم استطاعوا أن يسيطروا على معظم الجنوب ، ثم ممارسات ضد دور السينما والفيديو وكرة القدم فدخلوا في مسائل فرعية باتت تبدو لدى غالبية الناس شكلاً من أشكال القمع والاضطهاد والمغالاة والتطرف في تطبيق الدين ، وأظن أنهم اقتربوا في ممارساتهم المتزمتة من حركة طالبان.

الانكماش السنّي

وقي "مقالة " هل أصبح الانكماش السنّي أمراً واقعا في العقد الحالي؟يقول الكاتب السعودي خالد السهيل :

في المسألة الصومالية، التي تم تنفيذها من خلال وكيل إفريقي ساعد في تقليص أظافر المحاكم الإسلامية، التي جاءت حاملة نفس غياب طالبان في التعاطي السياسي، فأطلقت العنان لهامش الممنوع الذي يهتم بالشكليات، بدءاً من الأغاني ومروراً بالأمر الأخرى، في تحد لمجتمع كان ولا يزال مرتعنا ومختطفا من قبل الميليشيات المتحاربة، وعندما حاول

الصوماليون - كمواطنين - احتضان المحاكم، كانوا يرون فيها المنقذ الذي سينالون على يديه المن والسلوى، فإذا بهم يفاجأون بتصدير أيديولوجية شكلية لا تسبر أغوار المشكلات الحقيقية التي يعاني منها المجتمع هناك. وهكذا وجد الوكيل الأمريكي، الطريق ممهدا أمامه، ووجدت الميليشيات أنها أخطأت في قراءة مستقبل البلاد على يد المحاكم الإسلامية. لكن الوكيل لا يزال يتخبط ويعاني من جحيم التورط في حرب بين أطراف تقول في النهار ما تنقذه في الليل .

لقد قاومت أمريكا، في مقابل مشاركة غلاة محسوبين على السنة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، السلم والأمن من أجل انتقام ما انفك يتواصل حتى وصلنا إلى مرحلة من «الفوضى الخلاقة» وفقا للمصطلح الذي تم ترويجه عبر الإدارة الأمريكية. لكن هذه الفوضى، لا يمكن أن تكون خلاقة. فالنفخ في قربة الطائفية، يجعل الاحتقان يتزايد، ولقد شهدنا كثيرا من المشاهد، التي جعلت حتى أكثر المحايدون يتخوف مما يمكن أن تسفر عنه هذه الأمور من نتائج، يمكن أن توقد نيرانا سبق أن اشتعلت منذ قرون وأكلت الأخضر واليابس .

ضرب الاستقرار

وفي مقالة الهام " لمصلحة من تزعزع دولة آل سعود : الاستقرار في البلاد الإفريقية ! بركات آل سعود تصل إلى تشاد " يقول د. عبد الفتاح رضوان :

لم يترك آل سعود دولة من دولنا العربية والإسلامية إلا وزرعوا فيها الفتن ، عبر التدخل السياسي والاقتصادي المباشر الضار باقتصاد وسياسة تلك الدول ، أو عبر التدخل غير المباشر من خلال نشر الأفكار المتطرفة التي تلتحف خطأ برداء الدين الإسلامي وتسمى بالوهابية ولعل الفصل الأخير في فصول التدخلات السعودية في البلاد العربية والإسلامية يتمثل فيما تناقلته وكالات الأنباء من تصريحات لوزيرى الداخلية ، والاتصالات التشاديين والتي جاء فيها نصاً أن السعودية تقوم بتدعيم المتمردين بالأسلحة والأموال عبر عملية واسعة النطاق تستهدف إسقاط النظام الحاكم فى (انجامينا) ، فوفقاً لتصريحات أحمد محمد بشر (وزير

الداخلية التشادى) و(حور ماجى موسى دومجور وزير الاتصالات التشادى) إلى قناة الجزيرة (٢٧/١١/٢٠٠٦) فإن لديهم أدلة دامغة على تورط كل من السودان والسعودية فى دعم المتمردين على حكم الرئيس (إدريس ديبي) ، وأنهم سيقدمونها للرأى العام العالمى قريباً ، وأن هذا الدعم هو الذى تسبب فى تنامى قوة المتمردين وفى قربهم من العاصمة (أنجامينا) لمسافة قريبة جداً كما قالت لاحقاً السفارة الفرنسية فى تشاد وقدرتها بـ ٢٥٠ كم ٢ ؛ هذه المعلومات التى تتحدث عن تدخلات سعودية وسودانية تحتاج إلى تأمل لأن الخطر السعودى الوهابى الحامل للفتن والخراب على باقى البلاد الإسلامية آت لا ريب وسوف يكون مدمراً للغاية .

ان ما نود التأكيد عليه هنا وبعد تأمل لما حملته إلينا الأنباء والتصريحات القادمة من تشاد هو أنه لو جاز لنا أن نتفهم الدور السعودى فى تشاد ودعم حكومة البشير للمتمردين على نظام الحكم التشادى ، فذلك منطقى لأنه يتم على خلفية الصراع الدائر فى (دارفور) ، وكرد فعل سودانى على دعم تشاد للمتمردين فى إقليم دارفور خاصة من أبناء القبائل الذين يجمعهم الولاء العرقى مع التشاديين ، قد يكون هذا مفهوماً وإن كان غير مبرراً من وجهة نظرنا ، ولكن غير المفهوم وغير المبرر بالمطلق هو أن تأتى دولة على بعد جغرافى وتاريخى ، لتدعم قوات تمرد فى دولة أخرى ، إن من غير الأخلاقى وغير القانونى أن تقوم السعودية وعبر المال والسلاح بتدعيم قوات التمرد فى تشاد ، على الرغم من أن حكومة (إدريس ديبي) ليس لديها خصومة سياسية مباشرة مع النظام السعودى ؛ فلماذا هذا السلوك العدوانى من آل سعود وأدواتهم الوهابية (من مؤسسات الدعوة والجمعيات الخيرية وغيرها) فى زرع الفتن فى هذه الدولة الأفريقية والإسلامية الفقيرة التى تمزقها الصراعات أصلاً ؟ ، لماذا لا يتدخل آل سعود بالخير ، بالمصالحات ورأب الصدع بدلاً من زرع الفتن عبر مؤسساتهم المالية والدينية والسياسية ؟ الإجابة باختصار تكمن فى بنية الفكر والسياسة التى تهيم على عقل وسلوك الأسرة السعودية ، انها بنية العدوان وزراعة الفتن فى عالمنا

العربي والإسلامي ، إنها بنية نشر الفساد وخلق العملاء حتى يسهل السيطرة على صناع القرار في هذا البلد العربي أو ذاك ، أما بالنسبة لتشاد على وجه الخصوص فإن هذا الدور السعودي هو دور مطلوب أمريكياً ، وبأوامر من واشنطن ، ربما لخلاف سياسى وتاريخى بين السياسة الأمريكية والسياسة الفرنسية فى أفريقيا وفى تشاد على وجه الخصوص ، حيث تدعم فرنسا الحكومة التشادية ، وتدعم أمريكا المتمردين ولكن عبر عملاء أمريكا المخلصين والتاريخيين فى المنطقة الإسلامية والذين يأتى آل سعود فى مقدمتهم ، ولكن وأياً ما كانت الدلالات التى تحملها هذه المعلومات القادمة من تشاد فإن المتأمل لهذا الدور السعودى / الوهابى الجديد ، القائم على تخريب الدول الأفريقية من داخلها ، ليستدعى اليقظة والكشف عن أبعاده الواقعية وتطوراته المستقبلية ، تلك التطورات التى تعنى أن الفكر الوهابى والسياسة السعودية المتأمركة قد دخل إلى بيوت القارة السوداء وبدأ يلعب فى أحشائها من خلال المال والسلاح ، فليحرز الجميع لأن الخراب والفتن قادمين وبقوة ، وتشاد هى نقطة البداية وما هو قادم ، أعظم وأخطر ، وقى الله الدول الأفريقية ، شر الفتن السعودية وحماها من شرورها .

الإرهاب الوهابى

شنت المجموعات الإرهابية التى خرجت من رحم الوهابية فى إبريل الماضى - ٢٠٠٧ - عدة هجمات ضد المواطنين الآمنين فى المغرب والجزائر ، وكان أعنف هذه العمليات الإرهابية ما حدث فى الجزائر العاصمة حيث فجر انتحاري نفسه وسط حشد م المواطنين من موظفي الحكومة الجزائرية .

وتسبب هذا العمل الإرهابى فى مقتل ١٧ مواطن مدني وجرح أكثر من ثمانين آخرين يقول الكاتب العراقى أحمد الشمري على هذه التفجيرات التى حدثت فى شمال أفريقيا : تنحصر جميع العمليات الإرهابية فى العالم العربى والإسلامى والتي ينفذوها إرهابيون مسلمون لدى أنصار وأتباع المذهب الوهابى الظلامى صنيع مخابرات بريطانيا العظمى وبقية المخابرات

الدولية والصهيونية في العالم ، ليس بالضرورة أن ينفذ جميع العمليات الإرهابية مواطنين من عربان نجد والتي تعرف اليوم في المملكة العربية السعودية !! لكن بلا شك جميع من ينفذ العمليات الإرهابية من الأشخاص المتأثرون بالثقافة السعودية الوهابية المثيرة لنهج تكفير المسلمين من أتباع المذهب الحنفي والشافعي والملكي مضاف إلى هذا التكفير المتصرفة والأحباش والشيعة .

استقطاب البسطاء في أفريقيا

في السابق كانت الحكومة السعودية تستقطب الآلاف البسطاء من دول شمال ووسط وجنوب أفريقيا لكي يتم التدريس لهم في المدارس السعودية الدينية الوهابية ، ومن ثم تخريجهم أئمة ومن ثم إرسالهم إلى بلدانهم الأصلية ويشرف عليهم السفير السعودي والقائم في الأعمال الثقافي وذلك بشراء مسجد وإرسال الآلاف الكتب لابن تيمية وأبن عبد الوهاب ومن خلال هذه الكتب العقائدية المشجعة على الكراهية والبغضاء والتكفير يتم استقطاب البسطاء والفقراء ويتم غسل أدمغتهم ومن ثم تفخيخها ويجعلوها قنابل بشرية جاهزة للإنتحار وبمجرد إشارة من زعيم التيار الوهابي بهذا البلد وذلك البلد أو من خلال توجيهات الإرهابي بن لادن والظواهري والتي تبثها قناة الجزيرة .

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أتبعته الحكومة السعودية أسلوب جديد على نشر الإرهاب الوهابي من خلال تأسيس مدارس لنشر المذهب الوهابي في المساجد الوهابية والتي ترعاها الحكومة السعودية أو المؤسسات الخيرية الوهابية في الكثير من دول العالم ، لذلك ما نسمعه أن الحكومة السعودية لديها مشروع إصلاحي .. الخ هذا مجرد كذب وخذاع وكسب وقت لا أكثر !!!

على الحكومة الجزائرية والحكومة المغربية محاربة الإرهاب من خلال غلق المساجد الوهابية المنتشرة في البلاد وكذلك الحال في بقية دول شمال أفريقيا الناطقة في اللغة العربية

والفرنسية ، لا يمكن القضاء على الإرهاب بدون إلغاء تدريس المذهب الوهابي والعودة للمذاهب الإسلامية المعروفة سابقاً قبل فتنة مجيء الوهابية !!! .
الآن أصبحت قيادة عمليات للتيارات الوهابية في شمال أفريقيا وأسم هذا التنظيم الإرهابي بات معروف بتنظيم القاعدة لإمارة المغرب الإسلامي .

الفاشية الدينية

نشرت مجلة ميدل ايست مونيتور- **MidEast Monitor** (عدد يونيو \ يوليو ٢٠٠٧) دراسة تحليلية للسفير الأميركي السابق لدى كوستريكا (كورتين وينزر)، والمبعوث الخاص للشرق الأوسط في بداية عهد الرئيس الأميركي رونالد ريجان، بعنوان "السعودية والوهابية وانتشار الفاشية الدينية السنية"، استهلها بالقول إنه على الرغم من النجاح الذي حققته الولايات المتحدة حتى الآن في تدمير البنية التحتية لتنظيم القاعدة وشبكات الإرهابية.

إلا أن عملية "التفريخ الأيديولوجي" للقاعدة ما يزال مستمرا على المستوى العالمي وإن جهود أمريكا لمواجهتها تظل قاصرة لأن مركز دعمها الأيديولوجي والمالي هو السعودية التي تقيم فيها العائلة الملكية الموالية للغرب ولسنوات طويلة تحالفا مع الوهابية الإسلامية، كما تحرص على تمويل انتشار الوهابية إلى بلدان العالم بما فيها الولايات المتحدة، وإن إدارة الرئيس جورج بوش لم تبذل الجهد اللازم لمجابهة هذا الانتشار بسبب اعتمادها على النفط السعودي والخوف من عدم استقرار المملكة والاعتقاد بأن دعم أمريكا للديمقراطية سيكون كافيا لمواجهة التطرف الديني، بالإضافة إلى هاجس المواجهة مع إيران.

ويورد وينزر على لسان اليكسي اليكسيف أثناء جلسة الاستماع أمام لجنة العدل التابعة لمجلس الشيوخ في ٢٦ يونيو ٢٠٠٣م بأن "السعودية أنفقت ٨٧ بليون دولار خلال العقد الماضيين لنشر الوهابية في العالم"، وأنه يعتقد أن مستوى التمويل قد ارتفع في العامين الماضيين نظرا لارتفاع أسعار النفط .

ويجري وينزر مقارنة بين هذا المستوى من الإنفاق بما أنفقه الحزب الشيوعي السوفيتي لنشر أيديولوجيته في العالم بين ١٩٢١ و ١٩٩١م حيث لم يتجاوز الـ ٧ بليون دولار. ويلاحظ وينزر جهود نشر الوهابية في عدد من بلدان جنوب شرق اسيا، وأفريقيا والدول الغربية من خلال بناء المساجد والمدارس الدينية والمشروعات الخيرية واستقطاب الشباب العاطل والمهاجرين في هذه البلدان.

وتقول هذه الدراسة إن خريجي المدارس الوهابية كانوا وراء الأعمال الإرهابية مثل تفجيرات لندن في يوليو ٢٠٠٥م واغتيال الفنان تيودور فان جوخ الهولندي عام ٢٠٠٥م. وتختتم الدراسة بتوجيه الانتقاد لإدارة الرئيس بوش "لعدم ممارستها الضغط على السعوديين لمنع انتشار الوهابية". ويرجع سبب هذا التقاعس إلى الاعتماد على النفط والمخزون النفطي الهائل في السعودية، وإلى الاعتقاد بأن الضغط على السعودية لمجابهة الوهابية سيتسبب في عدم استقرار المملكة وازدياد الأعمال الإرهابية ضد المنشآت النفطية الحيوية أو أن البديل لانهايار النظام في السعودية سيكون كارثيا ولصالح المتشددين الوهابيين أو أن إيران ستقوى في المنطقة في حال ضعفت السعودية.

وحاول وينزر تنفيذ خطأ هذه الاعتقادات بالقول إن مواجهة المد الوهابي عالميا لن يدفع السعودية إلى قطع إمدادات النفط إلى الاقتصاد العالمي، كما أن المتشددين الوهابيين يستخدمون حظوة المملكة لدى أمريكا والغرب كغطاء يؤمن لهم النشاط بحرية، أو كما يقول مؤلف الدراسة وينزر بأن " الوهابيين يعتبرون المملكة وحقول نفطها بمثابة الوزة التي تبيض زهبا".

الحصاد المر

وقد بدأت حكومة آل سعود الوهابية التي أنفقت خلال العقدين الماضيين ما يزيد عن (٨٧) مليار دولار لنشر المذهب الوهابي في العالم ، تجني ما زرعتة في المنطقة طيلة سنوات من أفكار متطرفة وسياسات مغالية في العنف الديني تدعو إلى تكفير الآخرين وإباحة سفك ماء

الآخرين مما أفرز مناخ تفريخ الإرهابيين فقد أعلنت حكومة آل سعود اكتشاف خلايا لتنظيمات خطيرة تستهدف النظام الملكي الحاكم حسب زعمها .

لحوم الأضاحي حسب مستويات العائلات مع الرياض

في جو استعراضي سلم سفير آل سعود لدى السنغال خلال هذا العام ٢٠٠٧ إلى الحكومة السنغالية (١٠,٠٠٠) رأس من لحوم الهدي والأضاحي التي يقدمها حجيج بيت الله كل عام ويدفعون ثمنها من أموالهم الخاصة للفقراء والمساكين تقرباً إلى الله تعالى ، وقال السفير السعودي لدى السنغال في حفل أقامته السفارة بهذه المناسبة إن هذه الكمية من اللحوم هي هدية من الملك عبد الله إلى الشعب السنغالي ، وفي المقابل شكرت وزيرة المرأة والعائلة السنغالية في هذه الحفلة ملك السعودية وعائلة آل سعود على هذه الهدية .

وفي تعليقه على هذا المشهد ، يقول دبلوماسي عربي في داكار إن هذا الجميل الذي تكرره حكومة السعودية كل عام في عدد من الدول الإسلامية الفقيرة وتظهر به وكأنها الدولة الإسلامية التي تعطف وتحنو على فقراء المسلمين هو ليس في الحقيقة من أموال حكومة آل سعود بل هي أموال دفعها الحجاج ، كما أن على حاج أن يقدم الهدي والأضحية للفقراء المسلمين ، وأكد هذا الدبلوماسي بأن لحوم أضاحي وهدي الحجاج كل علم يجب أن توزع بالتساوي على فقراء المسلمين في جميع بلاد الإسلام ، لأن لحوم هذه الأضاحي قد دفع ثمنها كل الحجاج ، وفي ذلك يجب أن تشكل لجنة من قبل المؤتمر الإسلامي لتوزيع هذه اللحوم بمعرفتها وبمساعدة بقية الدول الإسلامية ، مستطرداً بأن هذه اللجنة ينبغي أن تكون داخل هيكلية المؤتمر وضمن تقسيماته الإدارية بشكل دائم ، من جانب آخر وفي بيروت أشار صحفي بإحدى الصحف اللبنانية في تعقيبه على ذلك حسب درجة العلاقات مع الرياض وأن الخارجية السعودية عادة ما تسامو بهذه اللحوم حكومات الدول الإسلامية تلك بمواقف سياسية تطلبها الرياض منها مقابل منحها لحوم أضاحي الحجاج ، وأضاف الصحفي أن آل سعود لم يلتفتوا لمعاناة مسلمي الجنوب اللبناني بسبب العدوان الإسرائيلي

عليهم وتدمير بنيتهم التحتية بالكامل ، ولم يفكروا في مساعدة مسلمي لبنان بقليل من لحوم أضاحي الحجاج لأن آل سعود قد لا يعتبرون هؤلاء اللبنانيين مسلمين كونهم من الشيعة ، كما أن آل سعود كانوا إبان الحرب في الصيف الماضي قد وقفوا إلى جانب العدو الإسرائيلي ضد الشعب اللبناني فكيف نريد منهم أن يمنحوه المساعدة ؟ مضيئاً أن ما ينسحب من حديث على لبنان في ذلك ينسحب كلية على الشعب الفلسطيني المناضل والذي تحاصره قوات الاحتلال الإسرائيلي وتم عنه حتى الكهرباء رغم أنهم الجار الأقرب لبلاد الحرمين الشريفين .

سلاح الرشاوى

عاشت دولة زيمبابوي منذ ديسمبر عام ٢٠٠٠ ولدة ٥ أشهر، أزمة سياسية مستعصية، وسببها رسالة كتبها رجل الأعمال، هاني اليماني، وهو نجل وزير النفط السعودي الأسبق، أحمد زكي اليماني، الى الرئيس الزيمبابوي، روبرت موغابي، يسأله فيها عما اذا كان بعض المسؤولين تلقوا من فرع في العاصمة، هراري، لشركة «إير هاربور تكنولوجي» الأوفشورية، التي يملكها اليماني ويديرها من مركزها الرئيسي بجدة، رشاوى وعمولات تزيد على ٣ ملايين دولار، إثر فوز كونسورسيوم دولي، للفرع فيه ٢٠ بالمائة، بمناقصة دولية طرحتها زيمبابوي قبل ٤ سنوات لبناء مطار حديث بالعاصمة، كلفته ١٠٠ مليون دولار، وسيتم تدشينه يوم الجمعة المقبل باحتفال دولي كبير.

كانت رسالة توضيح من اليماني للرئيس موغابي، أكثر منها اتهاماً لأحد، لأنه شرح له فيها أن ما يقال عن دفع المبلغ كرشاوى لم يكن صحيحاً، بل اختفت الثلاثة ملايين دولار من فرع شركته في هراري.

الآن الرسالة فجرت أزمة حين تسربت قبل ٦ أشهر الى صحيفة «ذي ديلي نيوز» الزيمبابوية، المعتبرة الأوسع انتشاراً هناك، والصوت الوحيد للمعارضة في البلاد، فنشرت تحقيقاً عن مناخات الرشوة والفساد «الضاربة أطنابها في زيمبابوي» وفق تعبيرها، تضمن

فقرات من الرسالة، التي كتبها اليماني في ١٠ صفحات بخط اليد، ووقع أسفلها باسم «ابنك.. هاني أحمد اليماني» تقديرا واحتراما للرئيس، الذي اعتبر التحقيق اتهاما له ولمسؤوليه الكبار بالرشوة والفساد، فقاضى «ذي ديلي نيوز» ومن وراءها في المحاكم، الى حين أدين الخميس الماضي ناشرها ورئيس تحريرها، الصحافي جيوف نياروتا، ومعه الصحافية سندرا نييرا وزميلها جوليوس زافا، بتهمة عقوبتها السجن ٥ سنوات:

بسبب ما قالته الصحيفة من إن اليماني شكوا للرئيس في رسالته كثرة الذين سال لعابهم للرشاوى بعد فوز شركته بالمنافسة، ومنهم وزراء ومسؤولون محليون. ووفق ما قاله هاني عبر الهاتف من بيته في جنيف بسويسرا " للشرق الأوسط " من إنه لم يرسل رسالة للرئيس موغابي «بل اجتمعت اليه قبل عام ونصف في مكتبه بالقصر الرئاسي، وشرحت له ما بلغني من أن الثلاثة ملايين دولار دفعت رشاوى لفلان وفلان من النافذين في الدولة.. يومها رأيت عينيه تدمعان، لأنه اعتبر أن ما سمعه يطاله شخصيا» على حد تعبيره.

تمضي رواية اليماني، فيقول: «بعدها عرفت أن المبلغ سرق من حسابات فرعنا هناك، ولم يتم دفعه كرشاوى للمسؤولين الكبار، فاجتمعت ثانية الى الرئيس موغابي، ومات الذي فات» كما قال.

إذا لم تستحي !

وهكذا فإن آل سعود ورجالهم لا يتركون مكاناً في العالم إلا ويشيعون فيه جميع أنواع الفساد من عمولات ورشاوي وسمسرة مستغلين ضعاف النفوس من الموظفين الكبار في تلك الدول ، ثم يستفسرون بعد ذلك عن مصير تلك الرشاوي ، وإذا لم تستحي فافعل مثل آل سعود !!!

المصاحم :

- ١- موقع مركز الحرمين للإعلام الإسلامي .
- ٢- موقع دولة الحجاز .
- ٣- موقع مجلة الحجاز .
- ٤- موقع صحيفة المثقف .
- ٥- مجلة الإسلام وطن .
- ٦- موقع صحيفة القدس العربية .
- ٧- مجلة الجزيرة العربية .
- ٨- صحيفة الشرق الأوسط .
- ٩- صحيفة الرؤية القطرية .
- ١٠- مجلة الثورة الإسلامية .
- ١١- صحيفة العهد القطرية .
- ١٢- صحيفة الأهالي المصرية .

الورقة البحثية الثالثة

الدور الوهابي / السعودي في أفريقيا . . سياسيا ودينيا

بقلم / د. علي أبو الخير

مقدمة . . الإسلام في أفريقيا

يعتبر تاريخ الدول الإسلامية والممالك التي قامت في قارة إفريقيا إذا ما استثنينا الشمال الإفريقي، من الأمور المجهولة تماماً بالنسبة للمسلمين، فهم لا يعرفون عن مسلمي إفريقيا شيئاً مع العلم أن نسبة المسلمين في قارة إفريقيا هي الأعلى في قارات العالم، بما في ذلك قارة

آسيا، أكثر قارات العالم ازدحاما بالسكان، هذا على الرغم من أن القارئ لأحداث وتاريخ هذه الممالك والدول، سيقف معجباً ولربما منبهراً بالبطولات العظيمة التي قام بها أبطال إفريقيا العظام، خاصة هؤلاء الذين كانوا في الغرب الإفريقي، والذين تصدوا لأعنف وأشرس الحملات الوحشية والتي قادها صليبو إسبانيا والبرتغال وفرنسا وأمريكا، ونحن وللأسف الشديد قد انخدعنا بما يروجه الاحتلال الأوروبي، والإعلام الغربي الذي يصور لنا إخواننا الأفارقة في صورة الهمج الوحشيين، أكلة لحوم البشر، وأن التمدن والرقى الذي حصل لهؤلاء الأفارقة يرجع بفضل الاستعمار الأوروبي لبلادهم، والحق غير ذلك تماماً، فلقد قامت بإفريقيا السوداء الكثير من الممالك الإسلامية العظيمة، على شريعة الإسلام من الكتاب والسنة، وتعتبر إفريقيا أول منطقة في العالم وصلها الإسلام بعد مكة مهبط الوحي، وذلك في العام الخامس من النبوة، عندما هاجر الصحابة الأولون فارين بدينهم إلى الحبشة، ثم دخلوا الشمال الإفريقي كله، من مصر إلى المغرب الأقصى في القرن الهجري الأول، وقد وصل فاتح المغرب الأعظم [عقبة بن نافع] إلى أطراف الصحراء الكبرى، وقد عمل ولاة بلاد المغرب من تونس إلى المحيط على نشر الإسلام في القبائل البربرية الموغلة في الصحراء، حتى وصل الإسلام إلى مدينة 'أودغشت' عاصمة قبيلة 'متونة' وهذه المدينة غير موجودة الآن ولكنها في قلب 'موريتانيا' .

ويرجع الفضل لنشر الإسلام في قلب وغرب إفريقيا لدولة المرابطين العظيمة، وخاصة الأمير الشهيد 'أبي بكر بن عمر' الذي كان أمير المرابطين الأول ثم ترك الإمارة 'ليوسف بن تاشفين'، وتخلّى عن الزعامة وتفرغ لنشر الإسلام بين الأفارقة، وظل يحارب القبائل الوثنية وينشر الإسلام بينهم حتى استشهد سنة ٤٨٠ هجرية، وقد وصل بالإسلام إلى خط الاستواء، أي على أبواب إفريقيا الاستوائية، عند منطقة الغابات الكثيفة، وهو بذلك قد قام بخدمة عظيمة للإسلام، ولا تقل عما فعله 'يوسف بن تاشفين' في المغرب والأندلس .

ثم أخذ الإسلام في الانتشار في قلب القارة الإفريقية شيئاً فشيئاً، بالتجارة تارة، وبالجهاد تارة، والدعاة المرابطين تارة، وبالتدريج تحولت القبائل الوثنية إلى الإسلام، وقامت ممالك إسلامية في غاية القوة والانتساع مثل مملكة 'غانا'، ومملكة 'مالي' الضخمة وكانت تشمل 'تشاد ومالي والنيجر والسنغال'، وكانت هذه المملكة من أقوى وأعرق الممالك الإسلامية في إفريقيا ومملكة 'السنغاي'، وغيرها من الممالك القوية التي دفعت بالإسلام إلى الداخل الإفريقي.

ولكن وللأسف الشديد أصاب المسلمون هناك، ما أصاب إخوانهم في الشمال، وفي كل مكان، إذ دب بينهم التفرق والخلاف، واقتتلوا فيما بينهم، وصارت الممالك تتقاتل فيما بينها، بدوافع قبلية وديوية محضة، فاقتلت مملكة 'السنغاي' مع مملكة 'مالي' حتى دمرتها، ثم قامت مملكة المغرب أيام حكم 'المنصور السعدي' بتدمير مملكة 'السنغاي'، وانهارت مملكة 'غانا' بالاختلال الداخلي وهكذا أكلت هذه الممالك الإسلامية بعضها بعضاً، في نفس الوقت الذي كان فيه أهل الكفر من الغرب والشرق يجمعون صفوفهم ويوحدون راياتهم استعداداً للانقضاض على العالم الإسلامي .

نبائل الفولاني والسنوسية ونهضة الإسلام

وعلى الرغم من انهيار الممالك الإسلامية الكبيرة، إلا إن القبائل المسلمة قامت بدورها في نشر الإسلام، واستكمال الدور الدعوى الذي كانت تقوم به الممالك وربما بصورة أفضل، ومن أشهر القبائل المسلمة :

١. قبائل الماندينج وتنتشر في مالي والسنغال وجامبيا وغينيا وسيراليون وساحل العاج .
٢. قبائل الولوف والتوكلور في السنغال ومالي .
٣. قبائل الهاوسا في النيجر وشمال نيجيريا وبنين والتوجو وبوركينا فاسو .
٤. الكانورى في شمال شرق نيجيريا والكاميرون .

ولكن أعظم وأشهر القبائل الإفريقية وأشدها تحمساً لنشر الإسلام وتمسكاً به هي قبائل الفولاني وهي التي تحملت مسئولية إعادة نهضة الإسلام وإقامة الممالك الإسلامية من جديد دخل الفولانيون الإسلام على أيدي المرابطين في القرن الخامس الهجري، فتحمسوا له واستعلوا به، وكانوا في الأصل من الرعاة الذين يتحركون باستمرار سعيًا وراء الماء والكلاء، وكان موطنهم الأصلي حوض السنغال، ولكنهم انتشروا في قلب إفريقيا من السنغال إلى تشاد إلى قلب وغرب إفريقيا في أربع هجرات شهيرة، تفرعت خلالها هذه القبيلة الضخمة إلى عدة فروع، ولكن أهم هذه الفروع وأكثرها أثراً في نشر الدعوة الإسلامية وعودة النهضة الإسلامية للقلب الإفريقي، وهي هجرة الفولانيين إلى نيجيريا...

ان أكبر الفضيل في انتشار الإسلام في الغرب والوسط الأفريقي يرجع إلى الطرق الصوفية خاصة الطريقة النقشبندية، ثم الحركة السنوسية التي امتد أثرها في الزاوية والتكايا، وكان أثرها في محاربة الإستعمار الأوروبي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وكان الإسلام أحد الروافد الضرورية والهامة في الهوية الإفريقية والتي كانت سببا مباشرا في حصول الأفارقة على استقلالهم.

أفريقيا بعد الاستقلال

لم يترك الإستعمار الغربي أفريقيا بدون أن يضع قدمها على طريق الإستبداد السياسي، فظهرت الجمهوريات المستبدة، كما ترك الحدود ملتهبة بين الدول الأفريقية فحدثت المنازعات والحروب الدامية بين تلك الدول وما زالت تلك الحدود تهدد الإستقلال الأفريقي، وبمنظرة متأملة نجد هذه المنازعات والتدخلات الأجنبية مازالت مستمرة في الصومال وتشاد ودارفور وجنوب السودان وبين التوتوسي والهوتو والسنغال وغانا والكاميرون ونيجيريا وباقي الدول الأفريقية المعذبة، كما أن التدخل الأجنبي عاد بصورة فجأة عبر المنازعات التي وضعها الإستعمار في القارة قبل رحيله، كما أن النفوذ الصهيوني يتمدد

بصورة متنامية في القارة وعمل الإدارة الأمريكية على تعمق هذا التمدد ومن أجله تقوم
باشعال الفتن طبقا للسياسة الإستعمارية فرق تسد ..

وهابية في أفريقيا

تزامن رحيل الاستعمار عن أفريقيا في الستينات مع ظهور النفط في الخليج واعتبار السعودية
بالنفط حامي الدين الإسلامي ، ولأنه النظام السعودي الذي ارتبط بالاستعمار الأمريكي فقد
غضت أمريكا الطرف عن النشاط الوهابي في القارة الأفريقية ، فتحت دعاوي مساعدة الدول
الإسلامية في أفريقيا قامت النظام السعودي بدفع الأموال ليس لمساعدة المسلمين في أفريقيا ،
ولكن لنشر الوهابية ، وقد حققت نجاحاً في بعض الدول ، ولكن هذا النجاح كان سبباً للفتن
في الدول الأفريقية بما فيها بطبيعة الحال الدول العربية في الشمال الأفريقي ، وحيث لم
يؤثر عن النظام السعود الغني أنه ساعد ثورة الجزائر ضد الفرنسيين أو ثورة الريف
المغربي ، أو الثورات الأفريقية في النيجر أو ساحل العام أو السنغال ، لم يؤثر عنها أي دعم
مادي أو معنوي ، والمساعدات جاءت بعد الاستقلال لسبب الأول نشر الوهابية والثاني
خدمة المطامع الاستعمارية ، كما أن المجاعات التي تضرب الدول الأفريقية بين وقت وآخر
لا تقوم السعودية بالمساعدات كالتي تقدمها للدول الغربية والتفاهات التي يصرفها الأمراء
السعوديون على ملذاتهم ، ليس ذلك فقط فإن نسبة الفقر في المملكة تتزايد بصورة مطردة
رغم ارتفاع أسعار النفط بصورة لم يسبق لها مثيل .

وما في هذا البحث لن نورد كل ما فعلته السياسة السعودية في نشر الخراب السياسي والفتن
الدينية لأن هذا يحتاج لكتاب كبير ، ولكننا نورد ما حدث في الشمال الأفريقي ، وساحل
العاج والسنغال كنماذج مروعة للفكر الوهابي الذي ما أن يدخل بلداً إلا شاع الخراب
السياسي والقهر الديني والواجهات الدامية بين أبناء الوطن الواحد.

الوهابية في المغرب العربي

قبل الحديث عن العنف الذي يجتاح المغرب العربي وباقي الدول العربية والأفريقية ودول العالم بأسره لابد من الإشارة إلى أن جماعات الإسلام السياسي بصفة عامة تأخذ من الوهابية أفكارها الإرهابية والتكفيرية وتعتقد أنها النموذج الأصح لمحاربة الأعداء أو لإصلاح الدين وتجديده ، وفي سبيل ذلك تقوم بقتل الأبرياء بحجة تكفيرهم ، وهم بصورة عامة يتشكلون من قادة مروعين وشباب ضحل الثقافة ولا يعرف عن أمور دينه ودينه أي شيء ، وعندما تحدث أي عملية إرهابية وتقوم الشرطة بمداهمة منزل الشباب الفاعل لا يجدون من الكتب سوى الفتاوى الوهابية والكتب التي تروج لها ، ومن ثم نجد أن الصراع الآن يدور في المنطقة بين التكفير والإستبداد ، وفي حالة المغرب العربي وأفريقيا نجد نفس ما يحدث من أفكار تكفيرية منتشرة بين الشباب المغيب ..

وتشير التقديرات الحالية لأجهزة الأمن في دول المغرب العربي وسلطات مكافحة الإرهاب الأوروبية وخاصة الفرنسية إلى أن عدد المنتسبين للجماعات المسلحة في شمال إفريقيا ، يتراوح بين ٣ إلى ٤ آلاف عنصر على شكل خلايا إرهابية مشكلة من جنسيات جزائرية ، ومغربية ، وليبية ، وتونسية ، وموريتانية ، وجنسيات إفريقية من مالي ، والنيجر ، ونيجيريا ، وتشاد بالإضافة إلى عدد غير محدد من جنسيات يمنية ، ومصرية ، وأفغانية موزعة عبر خلايا صغيرة أو تجمعات كبيرة على مساحة ٥,٥ ملايين كيلومتر مربع أغلبها في الصحراء الكبرى التي تتلاقى مع حدود مجموعة دول المغرب العربي ودول الساحل الإفريقي بطول أكثر من ١٠ آلاف كيلومتر .

الوهابية في الجزائر

تشير التقديرات الرسمية إلى أن الجزائر ذات الـ ٣٢ مليون نسمة ، يتواجد فيها ما يزيد عن ٤٠٠ عنصر تابعين للجماعة السلفية ، فيما تتحدث تقارير أمريكية وفرنسية عن أن هناك ما بين ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ عنصر في الجزائر فقط ، بعد شطب أسماء آلاف انخرطوا في تدابير ميثاق السلم والمصالحة.

تتمركز هذه الجماعات في منطقة القبائل والشرق الجزائري إضافة إلى الصحراء الكبرى ،
حسبما ذكرت التقديرات الرسمية ..

ويوضح الباحث في شؤون الإرهاب عبدالعالي رزافي لـ "الوطن الجزائرية" أن الحالة
الاجتماعية لعناصر الجماعة بوصفها معزولة ، عادة ما تكون أمية وذات ثقافة دينية
محدودة ، فضلا عن كونها شريحة مهمشة لوقت طويل من قبل قيادة الجبهة الإسلامية
للإنقاذ ، بالنظر إلى مستواها العلمي أو التعليمي المحدود من جهة ، وصغر أعمار عناصرها
بين ١٦ و ٣٠ عاما ، من جهة ثانية.

تشير التقديرات إلى أن أغلب سلاح المقاتلين الإسلاميين الوحيد هو العنف الذي بدأ يُصدّر
تدرجيا إلى بقية الحركات السلفية في تونس والمغرب وموريتانيا وليبيا ، فضلا عن شكوك
باستقطاب عناصر لها في أوروبا موجودة كخلايا نائمة ، وفقا لما أعلنته مصالح الأمن الفرنسية
والاستخبارات الأمريكية لا سيما مع تحول الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية
مؤخرا وبشكل رسمي من جماعة محلية تنشط في إطار حدود مرسومة إلى منظمة إقليمية
يتوزع نشاطها في ٥ دول عربية مغاربية بالإضافة إلى دول جنوب الصحراء الكبرى والساحل
الإفريقي وإطلاق تسمية تعبر عن استراتيجيتها الجديدة وهو "تنظيم القاعدة في بلاد
المغرب الإسلامي" وما يحمله هذا الاسم من دلالات عاطفية ووحودية بين أعضاء التنظيم
الجديد وقيادات أعضاء تنظيم القاعدة الدولي ، الذي سبقه أيضا اتصالات مع زعيم القاعدة في
بلاد الرافدين أبي مصعب الزرقاوي الذي قُتل العام الماضي.

دايا الوهابية في الجزائر

في السبعينيات ظهر التيار الوهابي بجناحيه العالمي والإقليمي بتدخل جهات من الإخوان
المسلمين في الكويت وفي سوريا .

وتورط الإخوان بدافع عوامل الحزبية العمياء في صراع مع تيار التخبطة الجامعية ، وحدثت
صدامات في الأحياء الجامعية في السبعينيات والثمانينات كان الهدف منها إقصاء تيار

النخبة من مواقع العمل المسجدي ليحل محلها لتيار الإخوان الإقليمي خاصة - مما أدى ببعض الفعاليات الإسلامية التي كانت تطلق على نفسها عنوان الإتجاه الحيادي بالضغط على الجماعات الحركية الثلاث البناء الحضاري - والإخوان الإقليميون والإخوان العالميون للتوحد ضمن صيغة واحدة جرى ذلك بسنتين من الحوار قبل أحداث أكتوبر ٨٨ تحت رعاية الشيخ أحمد سحنون وانتهى إلى طريق مسدود .

قبل أحداث أكتوبر كانت الحركة السلفية قد عرفت هي الأخرى طريقها إلى الجزائر عبر شخصيات كثيرة منهم من تعلم في السعودية وتأثر بشيوخها الوهابيين ، غير ان الشخصية الأبرز كانت " علي بن حاج " الذي تبني أطروحات السلفية اللامذهبية التي ورثت الحركة الوهابية واتخذ من مسجد السنة في باب الواد بالعاصمة المنبر المناسب لنشر أفكاره السلفية في أوساط الشباب المتدين من ذوي الثقافة المحدودة .

كان علي بن حاج لابوابة الكبرى التي دخلت عبرها السلفية الوهابية إلى الجزائر من موقع مسجد السنة في باب الواد كما سبق أن ذكرت ، وقد زاد من شعبية علي بن حاج أنه كان لا يقتصر في دروسه وخطبه على الوعظ والإرشاد بل كان ينتقد السلطة بشكل حاد ، ورغم خلافاته قبل أحداث أكتوبر مع عباسي مدني إلا أن الظروف التي أدت إلى ظهور الجبهة الإسلامية للإنقاذ المحظورة عجلت بالمصلحة بين الرجلين ، فقد وجد مؤسسو الجبهة الإسلامية المحظورة في شخصية عباسي مدني الوجه أو اللسان الذي يحسن الخطاب السياسي الذي يمكن الجبهة من الانتشار الواسع في الأوساط الشعبية والمثقفة ، كما وجد عباسي مدني في علي بن حاج وجماعته قاعدة نضالية تؤهله لكسب المعركة السياسية مع خصومه وتمكنه في الضغط على الجماعات الحركية النخبوية التي حاولت تهميشه بسبب تهوره وارتجاليته والتي جعلته يورطها في أحداث ١٩٨٢ التي أدت إلى اعتقالات تركزت على رموز تيار البناء لاحضاري خاصة .

ورغم الإفراج عنه وعن رفاقه بعد سنتين من لسجن لم يتعبر عباسي من مواقفه الإرتجالية بل أقحم الحركة الإسلامية عبر تنظيم الجبهة الإسلامية لمحظورة في الصدام مع السلطة معتمداً على الحركة لاسلفية كما قلت .

وكان هو وفريقه من مؤسسي لجبهة يفتقدون إلى أبسط قواعد العمل الحركي والسياسي لأنه لم يسبق لهم الإنتظام في أي حركة إسلامية منظمة تعلمهم أساليب الممارسة السياسية الناجحة ، وكيف يرسمون الخطط ويختارون الرجال .

وهذا لا ينقص من قيمة الرجل ، فهو كان أستاذاً محاضراً ناجحاً دافع عن الإسلام وجادل الشيوعيين ، وما حاور أحداً إلا أفحمه ولكن ما ذكرنته نقائض في الرجل جعلته غير مؤهل لقيادة عمل سياسي إسلامي ناضج في وضع معقد كالوضع الجزائري ، وهو ما جعله يسقط في المأزق الذي زج فيه هو وحليفه علي بن حاج بالتيار الإسلامي كان من اكبر نكباته أن فقدت الحركة الإسلامية النخبوية أعني لبناء الحضاري أو الجزائراً وجهها لامشرق المعبر الشيخ محمد السعيد رحمه الله .

كما ذاقت البلاد الويلات بسبب هذه الأخطاء مما لا يحتاج إلى بيان أو تعليق .

نشأة الجماعات المسلحة

تعود أولى معالم نشأة الجماعات المسلحة في الجزائر إلى ما خلفه الاحتقان السياسي بين جبهة الإنقاذ بزعامة عباسي مدني ومن بعده علي بلحاج والنظام آنذاك، حيث برزت كمنظمة تتبنى العنف كرد على قرار السلطات إلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية التي فازت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ بأغلبية المقاعد في يناير ١٩٩٢ .

ومرت الجماعة منذ تأسيسها عام ١٩٨٩ وحتى ١٩٩٤ بمراحل تميزت بالوحدة التنظيمية التي لم تدم طويلا، بعد أن برزت الخلافات والانشقاقات داخلها وصولاً إلى الاغتيالات.

وترأس (عنتر الزوابري) - الذي قُتل لاحقاً- بنهجه التكفيرى العنيف أعمال القتل تجاه أفراد السلطة الجزائرية وخصوم الجماعة، والصدام مع المدنيين المعارضين لتوجه الجماعة. وتتهم الجبهة الإسلامية للإنقاذ من خلال جناحها العسكري (جيش الإنقاذ) بممارسة العنف، كتحويل في مسارها بعد أن كانت تتبنى النضال السياسى وترفض العنف أو الصدام مع السلطة تحت قيادة عباس مدنى.

يضاف إلى ذلك تأزم الأوضاع الذى ساهم في ازدياد أعداد المنخرطين في العمل المسلح وظهرت جماعات كالجماعة المسلحة (الجيا) والحركة المسلحة (الميا).

وفي ضوء تنامي تلك التنظيمات المسلحة خلال منتصف التسعينات ومع ازدياد الاحتقان والصراع على الساحة، بدأت تتشكل مجموعات فيما يُعرف بـ "الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية" الذى قال عنها محللون لـ "الوطن" إنه لا يمكن مقارنتها بمثيلاتها التونسية والمغربية والموريتانية، كونها خرجت غاضبة عام ١٩٩٨ من أدغال الجماعة الإسلامية، حاملة لراية الذبح والقتل ضد المدنيين والعسكريين وكل ما له صلة بالنظام القائم.

وتتكون عناصرها من الذين حاربوا في أفغانستان والبوسنة، ومن الشباب المنحدرين من الطبقات الاجتماعية الدنيا، إلى جانب المنشقين عن جبهة الإنقاذ، وقدر عدد أفرادها في وقت أوجها بنحو ٢٠٠٠٠ إلى ٢٥٠٠٠ موزعين عبر نظام "الإمارة" تمركزوا في جبال أطلس شرقي وغربي الجزائر، ومناطق من الشرق الجزائري كبومرداس والبويرة وجيجل وبجاية إضافة إلى مناطق من الصحراء.

وقد عجل صدى تنظيمها في القوة وعدد منتسبيها في انتشار الجماعة السلفية الجهادية في أرجاء المغرب العربي كافة حيث ضربت تباعا في المغرب عبر تفجيرات الدار البيضاء التي أودت بحياة ٤٥ شخصا في ١٦ مايو ٢٠٠٣، وفي ليبيا من خلال الجماعات المقاتلة وفي الصحراء الموريتانية ثم أخيرا في تونس.

وكان لإعلان الجماعة الانضمام الرسمي إلى " تنظيم القاعدة" من خلال المسمى الجديد الذي أطلقته على نفسها "قاعدة الجهاد في بلاد المغرب العربي الإسلامي" مؤخرا، الدور في استقطاب منتمين جدد .

أفكار الوهابية : تقويم الإسلام

كانت الحركة السلفية الوهابية التي شكلت قاعدة القاعدة الأولى قد أصابها الغرور بسبب تسامح نظام الشاذلي بن جديد الذي فضل عدم المواجهة مع الإسلاميين ، وهو ما أدى إلى أن يركب سياسة الخطاب المتمرد على السلطة كل دعى ، كانت الحركة السلفية تعتقد أنها على وشك استلام السلطة ، ولم تضع في حسابها أن أعدائها قد أوقعوها في الفخ ، ودفعوا بها وبالتيار الإسلامي برمته إلى متاهة العنف التي يعرف الجميع فصولها ونهايتها .

وحدث الصدام وكان السلفيون اول المخاذلين لأنهم لم يكونوا في مستوى الصراع وكان لابد ان ينهار هذا التيار وينقسم على نفسه وتضل به السبل ليتمخض عن تيارين مختلفين .

سلفية جهادية اختارت طريق العنف المسلح مع السلطة ثم انحرفت عن أهدافها السياسية لتتورط في مجازر الإرهاب ثم تحولت إلى جماعات من المجرمين تذكرنا بأعمال الخوارج من المسؤول عن الأفكار التي قادت كثيراً من الشباب في هذا المسار الخاطئ الضال ؟ وسلفية اخرى اذهلها عنف النظام وما حدث من تجاوزات واعتقالات فأثرت لاتالصح والمسألة معه وثارت على أفكار بن حاج ويحاضر دعواتها باستمرار ليؤكدوا على عدم جواز الخروج عن الحاكم؟ وهي تطلق على نفسها السلفية العلمية وما هي كذلك / إنها سلفية علمانية تفصل الدين عن السياسة أو سلفية طرقية تدع بالله الله ومالقيصر لقيصر .

لا شك ان هذا التيا الأخير أقل ضرراً من تيار العنف ، لكنه ضيق الأفق لا يملك رؤية واضحة وشاملة عن المشروع الحضاري الرسالي الإسلامي كما أن تشرذم الحركة السلفية وكثرة تناسلها يرجع إلى انها لم تكن في يوم من الأيام بناء منسجماً من الأفكار يؤهلها لقيادة اكبر حزب سياسي إسلامي في بلد إستراتيجي كالجزائر لينقذه مما غرق فيه من

فوضى وفساد ، بل إن تيار السلفية بأجندته المختلفة قدم خدمات مجانية لأعداء الإسلام بأطروحاته السطحية التي تقزم الإسلام في مظاهر جوفاء وقد انساق الفريق الأخير من السلفية وراء علماء السعودية من امثال بن باز والعثيمين وانصرف نهائياً عن السياسة بعد هزيمته النكراء ، بل صار يبدع من يعمل فيها وهكذا من تطرف إلى تطرف آخر وصار هم كثير من أتباع هذا الجناح مشغولين بالرقي والتعاويد ومطاردة الجن والشياطين بعد أن هرموا في ميدان النزال السياسي على أيدي شياطين الإنس الشاطرين وكثيراً ما قال لاناس لهؤلاء لماذا لا تذهب هذه لجن إلى طواغيت العصر من امثال جورج بوش وشارون وبرتين جزار الشيشان ، أم ان الله العدل البر الرحي لا يسلط هذه الجن إلا على الغلبة والمستضعفين لقد دوخ هؤلاء السلفيون كثيراً من الشباب من ذوي الثقافة لامحدودة وعقدوهم نفسياً بتلك الأوهام ، وذلك مصير كل من يتنكر لمنطق العلم ومنطق لاسنن الإجتماعية والتاريخية التي تحكم تطور المجتمعات .

إن أكبر أسباب انهزام السلفية في ميدان النزال السياسي يرجع إلى هشاشة مرجعيتها الثقافية التي تعتمد على آراء الألباني وابن باز وكتب العثيمين تلك الكتب التي كثيراً ما توصف بأنها تمانم وحروز ، إن السلفيين يقصدون أولئك العلماء الذين يحفظون النصوص ، ورصيدهم من فقها قليل ويسفهون رموز العلم الشرعي كالغزالي والشعراوي والبوطي والقرضاوي الذين شرحوا منهاج الشريعة الصحيح لمن أراد أن يسير في طريق الله وتلك الكتب أو التمانم إن صح التعبير لاتهتم إلا بسرد النصوص والحديث عن بعض السنن من شعائر العبادات ، كما انها تقزم النموذج الإسلامي في أشكال من العادات كإطالة اللحى وتقصير السراويل والعناية بالكحل والسواك ، وتحجر أدمغة السذج من التابع الذين هم غالباً من ذوي الفهم المحدود من الشباب المنتسب من المدارس والجامعات ممن يعانون قصوراً علمياً أو عقلياً ، كما انها تحارب الفطرة البيت أودعها الله في الإنسان ، تدعى أن وجه المرأة بدعة وأن صوتها عورة وأن الفنون جميعها حرام ..

وهكذا تقزمت السلفية في إتباع فاشلين معقدين نفسياً لا يقوم بهم مجد ديني أو دنيوي ، إنهم يفتنون الآن بعدم جواز الخروج على الحاكم في عصر تبرح الديمقراطية وتعدد الآراء والأفكار ونسوا أنهم أول من دعا إلى الخروج واشعل نار الحرب ضد الحكام ، إنها مواقف مغشوشة لا تستند إلى فقه صائب أو إيمان خالص ومثل هذا العوج الفكري يجب ان ينحدر منه شبابنا لا أن يفسح له المجال ليزيف معالم الإسلام بينما توصل الأبواب في وجوه العلماء والدعة والمفكرين .

إنهم يتحدثون عن أسرار الساعة ولا يعلمون أنهم من هذه الأشرار حين توسد أمور الأمة كمنابر الوعظ والإرشاد إليهم وهو ليسوا أهلاً له .

كذلك من رزايا السلفية على ديننا انها تفتقد الحد الأدنى المطلوب من الذوق الجمالي الذي هو فطرة الله في الإنسان ، ولا يعنيها ان تقدم لاشاب المتدين في صورة تجعله يشبه الرسك الكاريكاتوري لهذا الإسلام لامزيف كما يرى الشيخ الغزالي رحمه الله كذلك تلبس لابنات لاسلفيات الجلابيب الطويلة ويجرون بها أحوال الطريق .

المغرب

يضم المغرب (٣٣ مليون نسمة) ما لا يقل عن ٣٠٠ إلى ٥٠٠ متشدد ينتمون بشكل أو بآخر إلى تنظيمات متطرفة ومتأثرين بمن سبقهم من عناصر قتلوا أو سجنوا من المغاربة الذين تخرجوا من مدارس ومعسكرات طالبان في أفغانستان .

وتؤكد تقارير رسمية في الوقت الحالي أن أغلب خلايا التطرف في المغرب والمنتكبة لـ"السلفية الجهادية"متواجدون ضمن المد الدولي لتنظيم القاعدة ومن قبله الجماعة السلفية للدعوة والقتال ، وتمحور عناوينها حول تأثير عناصرها بفكر الجهاد في العراق ونشاط السلفية الجزائرية .

وأبدت قيادات مغربية مخاوفها من تنامي أنشطة الجماعات المسلحة على أمتداد الحدود بين الجنوب الشرقي للمغرب وشمال موريتانيا وجنوب الجزائر .
وما يزيد من خطر هذا الارتباط والتنسيق بين الجماعات المغاربية الطبيعية الجيوسياسية للمنطقة الممتدة نم جنوب غرب ليبيا وحتى شمال شرق موريتانيا حيث تتم عمليات تهريب السلاح والبشر في ظل انعدام المراقبة وغياب السلطة .

موريتانيا وليبيا وتونس

في ضوء تقديرات عدد عناصر الجماعات المسلحة في كل من الجزائر والمغرب تبقى موريتانيا (٤ ملايين نسمة) وليبيا (٥ ملايين نسمة) وتونس (١٠ ملايين نسمة) ضبابية في أعداد المنتهين في ساحاتها إما لحدائتها كما في تونس أو للتنقلات الكثيرة بين جنوبي الجزائر وشمال موريتانيا ومالي بشكل سريع ، وفي الوقت الذي تبذل فيه واشنطن وحلفاؤها جهوداً كبيرة لاحتواء التهديدات الإرهابية في منطقة الساحل الإفريقي عبر القيام بمناورات مشتركة وتزويد البلدان المعرضة لخطر الإرهاب بكل أنواع الدعم المالي واللوجستي ، إلا ان الجيل الجديد من مقاتلي تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بدأ بتعزيز نشاطاته وتحركاته إلى درجة أن شبح الزرقاوي الجديد المعروف بـ(عبد الملك دوركال) المكني تنظيمياً بأبي مصعب عبد الودود بدأ يشغل بشدة بال أجهزة الاستخبارات المغاربية والغربية .

الجماعات التنهسية

شهدت تونس في ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٦ و٣ يناير ٢٠٠٧ مواجهات خلفت نحو ١٤ قتيلا ، ألفت بظلالها أيضا حول امتداد جماعات التطرف ، ولا سيما المنتهية فكرا وعملا إلى السلفية الجزائرية ، استنادا إلى تأكيدات وزارتي داخلتي تونس والجزائر، بظهور تنظيم "شباب التوحيد والجهاد" كفرع من القطب الجديد الذي تسعى السلفية الجهادية لترسيخه وبتزكية من "القاعدة".

ولم ينطلق من تونس بعد النشاط المسلح باستثناء عملية جربة في ٢٠٠٢. وكان نشاط الجماعات المتطرفة بدأ باتجاه تونس بفترة تمهيدية وتكوينية لشباب تونسي في معسكرات جماعة "الجيا" في الجزائر منذ بداية ١٩٩٧، حيث ألقى القبض على خلايا تونسية على الأراضي الجزائرية في أكثر من مناسبة.

الجماعات الإسلامية الموريتانية

يقول الكاتب الموريتاني محمد الحسن ولد الددو : تعود نشأة الإسلام السياسي في موريتانيا إلى سنة ١٩٧٥؛ حين أصدرت جماعة أطلقت على نفسها لقب "جماعة المساجد" بيانا أيدت فيه القرارات السيادية التي اتخذتها الحكومة..

كان ذلك جزءا من تداعيات المرحلة السياسية آنذاك (انشقاق الكادحين وميلاد الحركة الوطنية الديمقراطية، تعزز وجود تياري البعث والناصرية إثر زيارة الدكتور قاسم سلامة عضو القيادة القومية للبعث والعقيد القذافي سنة ١٩٧٢).

الحكومة أعلنت في نفس السنة عن إنشاء وزارة التوجيه الإسلامي، محاكاة للمغرب الذي شجع جمعية الشبيبة الإسلامية لفرملة المد اليساري فيها.

وفي سنة ١٩٧٨، انطلقت أول مسيرة للتيار الإسلامي في موريتانيا طالبت بتطبيق الشريعة وهو ما أعلنت الحكومة عزمها على القيام به. تطبيق الشريعة الإسلامية، الذي اختزل كل مطالب التيار خلال السنوات الماضية، يعني إقامة الحدود على الزنا والسارقين.

هذه السطحية والسذاجة هي ما يفسر ولاء التيار لنظام ولد هيداله خلال الثمانينيات عندما كان الحد يقام على بعض الضعفاء الذين لم يحصلوا على محاكمات عادلة. هذه الحميمية بين الإسلاميين ونظام ولد هيداله عزز من قوة التيار على الساحة وأصبح له جناح طلابي يوزع مناشيره ومنظرون لطرحة. وفي انتخابات ١٩٨٦ البلدية، كان التيار الإسلامي جزءا متميزا من "اللائحة البيضاء" ثم كونوا "لائحة الشورى" في الاستحقاقات الموالية.

وفي سنة ١٩٩٠، فازت لائحة الداه بن الشيخ التي دعمها القوميون العرب والإسلاميون (جناح عبدو محم) في الشوط الثاني، بعد تزوير السلطات الرسمية للحيلولة دون وصول "الخطر الزنجي" إلى مراكز اتخاذ القرار. بعد السماح بالتعددية سنة ١٩٩١، تقدم التيار الإسلامي بملف حزب "الجبهة الإسلامية"، لكن النظام الاستخباراتي لم يكن غافلا عن أن ظاهرة "العرب الأفغان" التي بدأت لتوها تجتاح العالم العربي قد يكون لها الفيتو على سياسة هذه الجبهة. ردت الداخلية بالرفض معللة ذلك بأن قانون الأحزاب ينص على رفض الأحزاب التي تقوم على أساس ديني. أعادوا الكرة تحت اسم "حزب الأمة" لكن السلطات رفضت. بعد رفض السلطات الموريتانية للتيار الإسلامي بأي وجود مشروع، ونظرا لظروف إقليمية (العنف في الجزائر) ودولية (عودة العرب الأفغان)، انقسمت الحركة إلى ثلاثة طوائف: الوسطيون التجديديون: تتخذ من حركة الإخوان المسلمين مرجعيتها وتوازن بين ثوابت الدين ومتغيرات السياسية. فهي تؤمن بالدولة الإقليمية وبالديمقراطية التعددية وبالمساواة بين المواطنين. وقد طبع هذا الاتجاه ببصماته مختلف المراحل التي مرت بها الحركة خلال التعددية وحتى سنة ٢٠٠٣ حين عربد النظام في قلب الحركة محاكيا بذلك، تماما كالبغاء التي تحترم بشكل صارم برمجتها الآلية، سياسة الولايات المتحدة في الحرب على الإرهاب.

ففي سنة ١٩٩١ انضمت الحركة الإسلامية ممثلة بالوسطيين التجديديين إلى حزب اتحاد القوى الديمقراطية؛ بينما ألهوا إخوانهم من التيارات الداخلية الأخرى بوطنية شعبية: "الخروج" وإلقاء الخطب والوعظ في المساجد التي تكاثرت بشكل نوعي.

عند انشطار اتحاد القوى الديمقراطية/ عهد جديد، ظلت الحركة وفيه لولد داداه لتحتل المراكز الأولى في التكتل بعد إنشائه إثر حل اتحاد القوى الديمقراطية. والحقيقة أن التكتل لم يجعل الإسلاميين في مقدمة الحزب اعتمادا فقط على موالاتهم لولد داداه، ولكن لأن الحركة استطاعت السيطرة على الاتحادات الطلابية والنقابات الأهلية، وكانت رافضة

بشكل حازم وقاطع للعلاقة مع إسرائيل. وكانت في كل تفاعل جماهيري مع القضية تعتقد (أو يُعتقد نيابة عنها) أنها تكتسح الساحة الوطنية.

في سنة ٢٠٠٣، قام النظام باعتقال وخنق كافة رموز الحركة، معتدلين ومنتظرين، بكافة الوسائل. لكن قادتهم برهنوا على نضجهم خلال محاولة انقلاب ٨ يونيو، فسلموا أنفسهم للسلطة بعد استتباب الأمر رغم أنه كان بإمكانهم الفرار إلى خارج البلاد وبرهنوا بذلك على براءتهم من التهم المنسوبة إليهم. هذه الحملة غير المسبوقة جعلت كافة أطراف المشروع الإسلامي تلتف تحت قيادة موحدة مستقلين بذلك عن باقي التشكيلات السياسية. وفي سنة ٢٠٠٣، أخرجت الحركة ولد هيداله من مخبئه ودعمته في رئاسيات نوفمبر، لكنه خسر المعركة. ومع شخصيات أخرى تقدمت بطلب ترخيص لحزب الملتقى الديمقراطي، لكن السلطات رفضت مجرد تسلم أوراقه. مع قدوم المجلس العسكري، تم الإفراج عن عشرات معتقلي التيار في إطار عفو شامل عن السجناء السياسيين وأبقي العشرات منهم رهن الاعتقال بتهمة الإرهاب.

الوهابية الموريتانية

أما الطائفة الثانية من الإسلام السياسي في موريتانيا فهي السلفية الشيخية ويمثلها الكثير من أئمة المساجد وأساتذة المعاهد الإسلامية ومدرسي المدارس السلفية التقليدية.

وتعتبر السلفية الشيخية في العربية السعودية ملهمة السلفية الشيخية في موريتانيا، حيث تستمد مرجعيتها من إيديولوجيا الأخوة الكبار (آل الشيخ-آل اعثيمين-آل فوزان-آل اعبيكان وابن باز). ولذلك كانت السلفية الشيخية في موريتانيا مضطربة بشأن القضايا التي لم تطرح بعد على "السلفية الشيخية الأم"، فنجد الشيخ أحمد ولد لمرباط لا يؤمن مطلقاً بدوران الأرض، ونجد الشيخ محمد الأمين ولد الحسن يقول إنه إذا كانت الديمقراطية بمعنى حرية الاعتقاد والرأي فلا خير فيها.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الطائفة اتجاهها آخر ما زال يبدو خجولا وهو "الاتجاه السروري" الممثل لفكر الشيخ محمد سرور بن نايف الذي أضاف إلى "جمود الوهابية" ولاهوتيتها "ثورة وتسييس المسار الثاني لسيد قطب"، مما أنتج فكرا تكفيريا في فتاويه متزمتا في أيديولوجيته متطرفا في تنظيره، ولكنه يرجع حق استعمال العنف (الجهاد) إلى ولي الأمر. اختيار الحركة الإسلامية لرجال يؤمنون بهذا الفكر (الشيخ محمد الحسن ولد الددو والمختار ولد محمد موسى....) لقيادة الحركة كان حلا وسطا بين إخوانيين مؤمنين بالجمهورية والديمقراطية وسلفيين يكفرون من يتعاطاها.

وأطلقت الحركة التي كانت تدرك قابلية ميل هذا الاتجاه إلى كل من الطرفين على نفسها لقب "الإصلاحيون الوسطيون" عندما تميزت عن باقي التيارات السياسية الأخرى. أما الطائفة الثالثة داخل الحركة الإسلامية فهي "السلفية الجهادية" وهي أخطر ظاهرة فكرية عرفها التيار الإسلامي عموما والموريتاني على وجه الخصوص. ولد هذا التيار من رحم المسار الأول من "القطبية" والذي يمثله الشاب مصطفى شكري مؤسس "جماعة التكفير والهجرة" في مصر. وتعتبر قاعدة "الولاء والبراء" أكبر مزلة قدم لها؛ حيث تعتبر أن "الحكم لله" وليس للشعب كما تنص على ذلك الدساتير الجمهورية، وترى أن السلطة حكر على المسلمين دون المواطنين من الديانات الأخرى؛ بل إنها ترى أن المواطنة تتم على أساس الدين وليس على أساس أي شيء آخر، وأن الوطن يشمل كل تراب الأمة ولا يعني فقط الدولة الإقليمية المتعارف عليها. ويعتبر أيمن الظواهري، الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، منظر هذا الاتجاه عالميا وينظره على الجانب الموريتاني محفوظ ولد الوالد المعروف بأبي حفص الموريتاني.

في موريتانيا، يقبع ما يزيد على عشرين مشتبها بتبنيهم لهذا الفكر في السجن بانتظار المحاكمة. ورغم أن السلطات تدعي امتلاكها ما يكفي من الأدلة لإدانتهم، إلا أنها لم تقدمهم بعد للمحاكمة. وإذا كان البعض يشكك في إدانة هؤلاء المعتقلين اعتمادا على تردد

السلطات في تقديمهم للمحاكمة، فإن من شبه المؤكد أن عشرات الموريتانيين المنتسبين للسلفية الجهادية، وربما المئات منهم، ينضون تحت لواء الجماعة السلفية للدعوة والقتال التي قامت بعملية لمغيطي منتصف ٢٠٠٥.

هذه الجماعة انضمت للقاعدة وأعلنت تسمية نفسها ب"القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي" وأقسمت أنها ستقيم "دولة الحق والعدل على أنقاض دول الكفر وحكم الطاغوت". ورغم أن الطابع العام للحركة الإسلامية في موريتانيا هو رفض العنف، إلا أنه يؤخذ عليها عدم البت المباشر ودون استعمال اللغة الخشبية في العمليات الكاميكازية التي يقام بها باسم الدين الإسلامي الحنيف. كما أن ثمة غموضا بشأن رؤية التيار لمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي يمر عبرها الكثيرون للتكفير وللقيام بعمليات خطف وقتل.

التكفيرون في موريتانيا

بالنظر إلى الجماعات المتطرفة الموريتانية فإنها تعد تكملة وامتدادا للجماعات الجزائرية وعلى رأسها تنظيم الدعوة والقتال، وكشف مسؤول موريتاني مؤخرا، عن وجود تنظيم يدعى الجماعة السلفية للدعوة والقتال بموريتانيا ذي ارتباطات بالجزائرية، تلقوا تدريبهم على يد هذه الجماعة في معسكرات على أراضي مالي.

وتعود نقطة الانطلاق وبدايات التواصل بين التنظيمين إلى مارس ٢٠٠٤ حيث كانت مجموعة من الطلبة مشبعة بالفكر السلفي تلقت تدريباتها على يد تنظيم الجماعة السلفية حول استخدام الأسلحة وفنون القتال استعدادا للرحيل إلى ساحات الجهاد في العراق قبل إقناعهم من زعيم السلفية عبد الرزاق الباربا صاحب عملية خطف السياح الألمان ٢٠٠٣ بالموث لتقوية تنظيم القاعدة في الصحراء الكبرى لإخراج التنظيم من "القطرية" الضيقة إلى "التدويل"، مما جعل التنظيم لاحقا يستقطب جزائريين وموريتانيين وجنسيات من مالي والنيجير وتشاد.

الوضع القانوني والتمويلي للهابية في المغرب العربي

تتفق آراء ووجهات نظر ومواقف الرسمية ومسؤولو الأحزاب و المعارضة في دول المغرب العربي حول "عدم شرعية تلك التنظيمات" ولا سيما المسلحة التي تنتهج العنف والتكفير. فعلى صعيد الجزائر يُفسر التنامي الدموي للجماعة كرد فعل للعزلة التي تواجهها بعد بدء قانون المصالحة والعفو عقب انتخاب عبدالعزيز بوتفليقة رئيسا في أبريل ١٩٩٩ ، حيث عد ذلك بمثابة نقطة تحول في الحرب الداخلية التي نشبت في يناير ١٩٩٢.

وبعد وقف إطلاق النار الذي أعلنه جيش الإنقاذ أصدر بوتفليقة عفوا عن ٢٣٠٠ سجين وقدم للبرلمان قانون الوثام المدني للعفو عن أعضاء ومؤيدي جيش الإنقاذ.

ونالت المقترحات تأييدا كبيرا في استفتاء ١٦ سبتمبر ١٩٩٩ ، لتستكمل باستفتاء سبتمبر ٢٠٠٥ حول ميثاق السلم والمصالحة في نجاح أثمر عن توبة الآلاف من المسلحين، وترك الباب مفتوحا لدخول من يشاء. وأصبح عمل المسلحين الآخرين مقتصرًا على بعض الكمائن في الطرق البعيدة عن المدن، أو شن هجمات على مناطق ريفية نائية، أو على معسكرات معزولة للجيش و قوات الأمن الجزائرية.

وفيما تحظر سلطات دول المغرب العربي نشاط الجماعات المتطرفة فان مثالها الأكبر في الجزائر ينطبق بأشكال مختلفة في ساحاتها من خلال ضرب وتفكيك خلايا الجماعات النائمة والنشطة ولا سيما في المغرب وموريتانيا وملاحقة ما من شأنه دعم تلك الجماعات دعائيا وماليا وفكريا وبالانسجام مع الحملة العالمية ضد الإرهاب.

وقال باحثون ومختصون في شؤون الجماعات المسلحة لـ "الوطن" إن الجماعات تحصل على التمويل والدعم بعدة طرق منها التقليدية والمبتكرة، عبر التشريعات الدينية كالزكاة والصدقات، وإن تصنيعها للقنابل والمتفجرات من مواد محلية لا يحتاج إلى إمكانيات كبيرة. ففي المغرب تستقطب الأموال من المتعاطفين والمؤيدين لسياساتها ونهجها ، ومن المغاربة المنتشرين في أوروبا، إضافة إلى الدعم والإسناد من عتاد وسلاح والتمويل الغذائي والطبي من جماعة الدعوة في الداخل الجزائري. إضافة إلى أموال تجمعها كتائب خاصة تابعة للسلفية

جراء السلب والنهب والابتزاز من قاطني القرى ، وعبر تجارة السلاح في الصحراء الكبرى وإعادة بيعه لصالح مجموعات أخرى من دول إفريقية ، ومن تجارة وتهريب المخدرات . وكان لعملية اختطاف السياح الألمان عام ٢٠٠٣ من قبل جماعة البارازيم السلفية في الصحراء عامل كبير في دعم الجماعة بعد دفع الحكومة الألمانية مبلغ ٥ ملايين يورو مقابل إطلاق سراح مواطنيها بواسطة مشايخ من الطوارق ومن مالي آنذاك . ويرى البعض أن الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية لها الدور القيادي في الدعم المالي لشبكات وخلايا التطرف الجديد في منطقة المغرب العربي .

الوهابية في ساحل العاج

في دراسة هامو ومفيدة عن كيفية وصول الوهابية للغرب الأفريقي وعن النشاطات الإسلامية قبل وصول الوهابي يقول الكاتب الساحل عاجي الأشهر عبدالله دوسو : إن الحديث عن وصول الوهابية لساحل العاج وللغرب الأفريقي بصورة عامة لابد أن يسبقه الحديث عن الموضوعات التالية :

١. حالة الاسلام والتعليم الدينى الاسلامى فى ساحل العاج قبل مجيء الوهابية.
٢. عوامل و كيفية دخول الوهابية فى ساحل العاج.
٣. اعتقادات الوهابيين و اسلوب تعاملهم مع غير هم من المسلمين.
٤. وقوف العلماء و عامة المسلمين امام انتشار الوهابية.
٥. نشاطات و فعاليات الوهابيه فى ساحل العاج.
٦. الانجازات والمشاريع التى اقامها الوهابيون فى ساحل العاج.
٧. الجمعيات والتنظيمات الإسلامية.
٨. استراتيجية الدعوة الى الوهابية فى الوقت الراهن.

الاسلام فى ساحل العاج

قبل الدخول فى هذا الموضوع يحسن بنا ان نلقى نظرة عابرة على دولة ساحل العاج من الناحية الجغرافية و كيفية دخول الاسلام اليها لتكون هذه النظرة بمثابة البوابة التى ندخل من خلالها الى موضوع بحثنا فنقول:

ساحل العاج دولة تقع على الشاطيء الشمالى لخليج غينيا تحدها من الشمال جمهورية مالى و بوركينافاسو و من الشرق غانا، و من الغرب غينيا و ليبيريا و من الجنوب المحيط الاطلسي. و مساحتها ٣٢٢٤٦٠ كم. و عدد سكانها حسب احصائيات عام ١٩٩٨م ١٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة و نسبة المسلمين فيها ٦٠٪ فى حين ان ٢٦٪ من سكان ساحل العاج من المهاجرين الأجانب.

دخل الإسلام في ساحل العاج فى القرن الرابع عشر الميلادى متزامنا مع امتداد امبراطورية مالى الى النصف الشمالى للبلاد بواسطة تجار العرب الذين كانوا ياتون الى المنطقة للتجارة. لقد تعرّف الناس فى ساحل العاج على الاسلام من خلال اخلاقهم الطيبة. فاعتنق الناس الاسلام عن اقتناع من دون حرب و لا اغراء. و فى عام ١٨٩٧م هدم سامورى تورى مدينة كونغ **KONG** عاصمة المملكة الاسلامية (مملكة ديولا) و قتل المسلمين فيه قتلا عاما مستعينا فى ذلك بقبيلة سينوفو **SENOUFO** الوثنية. ان فعلة سامورى تورى هذه و امثالها التى قام بها فى منطقة اوديينه **ODIENNE** و منطقة سيغىلا **SEGULA** المسلمة تضع علامات سؤال عريضة امام مصداقية كون سامورى تورى مجاهداً اسلامياً ضد الكفر و ضد الاستعمار الفرنسى الغاصب، فان حكايات الشيوخ الذين عايشوا ظروف مقاومة سامورى تورى ضد الاستعمار الفرنسى و ظروف حروب التسلط التى كان يخوضها ضد الممالك الموجودة فى المنطقة آنذاك تدل دلالة و اضاءة على ان سامورى تورى - على رغم تلقبه بالامام سامورى تورى - لم يكن فاتحا اسلامياً، و الا فكيف نفسّر استخدامه القبائل الوثنية فى الهجوم على مملكة كونغ الاسلامية و هدم تلك المملكة و اسقاط تلك المملكة الاسلامية العريقة، و كذلك محاولته الاستيلاء على مدينة ساماتيغىلا

SAMATIGUILA العامرة بعلماء الدين، و بعد ان خاف من القدرة غيرالعادية

التي شاهدها من علماء تلك المدينة صالحهم و لكن مع كل ذلك هدم كثيرا من القرى المسلمة
المجاورة لتلك المدينة!؟

و كيف نفسّر محاربتة للشعوب المسلمة فى شمال ساحل العاج و اعراضه عن شعوب المنطقة
الجنوبية المعروفة بالوثنية و الكفر؟! و ايضا اذا قارنا بين تاريخ دخول الاسلام فى شمال
ساحل العاج (القرن الرابع عشر الميلادي) و بين تاريخ ولادة سامورى تورى (١٨٣٠م)
نعرف بوضوح انّ اعتناق شعوب شمال ساحل العاج للاسلام لم يكن على يد سامورى تورى
اطلاقاً. صحيح انه قاوم و كافح ضدّ الاستعمار الفرنسى الكافر طيلة تسع عشرة سنة، ولكن
تصرفاته مع الشعوب المسلمة تبرهن على انه لم يكن يحارب لاجل نشر الاسلام فى اوساط
المجتمع العاجي.

هذه نبذة يسيرة عن جغرافية ساحل العاج و تاريخ دخول الاسلام فيها. و الآن ندخل فى
موضوع بحثنا و هو حالة الاسلام و حالة التعليم الدينى الاسلامى فى ساحل العاج قبل
مجيء الوهابية.

مقدمة لذلك البحث نذكر بايجاز اسماء المناطق المسلمة بالاصالة فى ساحل العاج و هي:
بوندوكو و بونا فى الشمال الشرقى، دابا كالا و بونسيالى و كاتيولا و فيركيسه دوغو و
نيانكارامان دوغو و كونغ و كورهوغو فى الشمال و اوديينه و طوبى و سيغيلا و مانكونو فى
الشمال الغربى فهذه هى المدن الرئيسية المسلمة فى ساحل العاج و الى جانبها مدن كبيرة و
قرى كثيرة. سكانها الاصليون مسلمون بنسبة ٩٧٪ فى طوبى و كورهوغو و بنسبة ١٠٠٪ فى
بقية المناطق المذكورة. و اما بالنسبة للمدن والقرى الواقعة فى وسط و غرب و جنوب و
جنوب شرقى البلاد فان اغلبية المسلمين فيها تتشكل من المهاجرين الذين جاؤوا من شمال
البلاد و من الدول الاخرى مثل مالى و « سنغال و غينيا» و نيجر و نيجيريا و بوركينافاسو و
غامبيا و بعض الدول الآسيوية.

كان جميع المسلمين في ساحل العاج قبل مجيء الوهابية يتبعون المذهب المالكي، ولا يزال أكثر من ٨٠٪ من المسلمين متمسكين بهذا المذهب الى يومنا هذا و لم يكن هناك نزاع عقائدى او اختلاف فقهي بين المسلمين، نعم، هناك نزاع عقائدى بين المسلمين من جانب و المسيحيين من جانب آخر.

و كانت المراسم والشعائر الدينية تجرى طبق المذهب المالكي كصلاة الجماعة اليومية، و بالنسبة الى فريضة الجمعة فلا يكون في مدينة واحدة اكثر من مسجد جامع واحد، و نظام الامامة مبرمج بشكل لا يسمح لاحد التنافس والتنازع لاجل منصب الامامة، و الامام هو الذى يعقد النكاح بين الزوجين في المسجد او في بيت ولى المرأة و يكون العقد غالباً مساء ايام الخميس، و الامام هو الذى يقوم بتسمية المولود في مناسبات العقيقة، و الامام يتمتع بالسلطة الدينية والاجتماعية على اهل المدينة او القرية، فهو الذى يتولى فصل الخصومات بين المواطنين و حتى بين الزوجين، و احياناً بين رب البيت و اولاده او اخوانه في حالة فشل الاسرة في تسوية الموقف و حل المشكلة.

أما بالنسبة إلى مراسم عيد المولد النبوي الشريف فإنها تبدأ في اليوم الاول من شهر ربيع الاول حيث يجتمع العلماء والطلاب في المسجد في كل ليلة بعد صلاة العشاء لقراءة مدائح رسول الله (ص) و اهل البيت (ع) بحضور عموم المسلمين، و بعد الفراغ من قراءة المدح يلتقى احد العلماء محاضرة و ينتهى البرنامج عادة عند الساعة الحادية عشرة ليلاً حيث تقدم الهدايا والاطعمة الى الحاضرين. و هكذا في كل ليلة الى ان تحين الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الاول و فيها تبدأ مراسم قراءة المدح و المحاضرات بعد صلاة العشاء و تستمر الى وقت اذان الصبح، و يقتسم العلماء الوقت بينهم لالقاء المحاضرات حول سيرة الرسول و معجزاته، و خلال هذه المراسم يوزع الناس الهدايا والصدقات على الفقراء و طلاب العلوم الدينية و في نهار اليوم الثانى عشر تقام الحفلات والزيارات. و في هذه المناسبة ياتي

الضيوف من المدن والقرى المجاورة و كذلك المقيمون فى المدن الجنوبية المسيحية يسافرون الى مناطقهم الاصلية للمشاركة فى مراسم و احتفالات عيدالمولد النبوى الشريف.

و أما شهر صفر فان المسلمين يعتقدون انه شهر نحس و مشؤوم فلا يقومون باى عمل اجتماعى فيه مثل: خطبة المرأة او عقد الزواج او بناء بيت جديد او الانتقال الى دار جديد.

و فى اليوم السابع و العشرين من شهر رجب، يحتفل الناس بعيد ليلة الاسراء و المعراج و فيها توزع الهدايا على الناس و تقدم الصدقات للفقراء او يبذل الطعام.

و فى اليوم الخامس عشر من شهر شعبان يحتفل الناس بعيد نصف شعبان حيث يصوم الكبار فى النهار و بعد الافطار يقدمون الطعام و الهدايا الى الاقارب و المعارف و الاصدقاء فيعم السرور جميع المسلمين.

و فى شهر رمضان المبارك يفطر المسلمون بصورة جماعية فى ساحة المسجد بعد صلاة المغرب، و هذا يكون فقط فى القرى و اما فى المدن فتفطر كل اسرة فى المنزل، و بعد صلاة العشا مباشرة يؤدون نوافل التراويح جماعة فى المساجد. و فى الليلة السابعة و العشرين يقومون بمراسم ليلة القدر، حيث يجتمع الناس فى ساحة المسجد بعد صلاة العشاء و بعد تناول طعام العشاء و يقوم العلماء بالمواعظ و المحاضرات الى وقت صلاة الفجر، و فى هذه اللية يقدم الناس الصدقات و الهدايا الى الفقراء و طلبة العلوم الدينية.

و أما بالنسبة إلى فريضة الحج فان الحجاج عندما يرجعون من الحج و يخرجون من المطار يتوجهون مباشرة - مع الجموع الحاشدة التى تاتى لاستقبالهم - الى المسجد الجامع لمدينتهم، و هناك يقدمون تقريراً كاملاً عن سفرهم العبادى، و يجرون مراسم الدعاء فى المسجد، و بعد ذلك يمكن لكل واحد من الحجاج الذهاب الى منزله او قريته و يبقى فى المنزل طيلة اربعين يوماً من دون مزاوله نشاطاته الاقتصادية.

و فى عيد الأضحى تقسم لحوم الاضاحى الى ثلاثة اقسام: قسم للفقراء و قسم للاقرباء و الاصدقاء و الجيران، و قسم ثالث للعيال.

و في شهر محرم الحرام يقوم المسلمون بتزكية اموالهم و تقديمها الى الفقراء والمحتاجين
والمساكين.

حالة التعليم الاسلامى نيل محيي الوهابية

كانت المدارس تقليدية (كتاب) لا توجد فيها مقاعد و لا سبورة و فيها يتعلم التلاميذ القرآن
الكريم (تلاوة القرآن و حفظه و كتابته و تفسيره) والفقه و العقائد و علوم العربية. و تبدأ
الدروس عادة فى الساعة السادسة والنصف صباحاً و تستمر الى الساعة التاسعة. و بعد
الانصراف من الدرس يقضى التلاميذ بقية النهار فى العمل فى حقول اساتذتهم. و هذا ما
يؤدى الى تاخر طالب العلم فى مسيرته الدراسية فينصرف كثير منهم عن الدراسة و
التحصيل فى وقت مبكر. و لم تكن المدارس الكلاسيكية موجودة عند المسلمين قبل مجيء
الوهابيين.

أما الطالب الذي يجتهد و ينهى دورة كاملة فى تفسير القرآن الكريم فانه يتوّج بعمامة
القرآن المجيد، العمامة التى تدل على انه عالم دين و مفسر للقرآن الكريم المبين. و عند ما
يتعمم الطالب بهذه العمامة يقسم امام العلماء و اعيان المسلمين بالقرآن المجيد على انه لن
يكذب ولن يسرق و لن يزنى و لن يحسد و لن يظلم و لن يخون فى حياته ابداً، و انه لن
يتهاون او يتساهل فى واجب من الواجبات الشرعية، و انه ياتى بالمستحبات و يجتنب
المكروهات.

وهكذا وجدنا ان العالم المفسر المعم لا يلوث نفسه بشيء من المعاصى، و هذا هو الذى دفع
عوام المسلمين الى احترامهم و تقديسهم و جعلهم يتمتعون بالهيبة و الاحترام و المحبة بين
الناس. و بهذا الاسلوب و هذه الاخلاق الطيبة استطاع العلماء ان يكسبوا قلوب الناس و
عواطفهم.

وكان لكل عالم مكان خاص فى منزلة يقوم بتدريس التلاميذ فيه يسمى بالكتاب او المسيد، و
لذلك نجد فى كل مدينة عددا كبيرا من الكتاب بعدد العلماء الموجودين فى تلك المدينة و

اكبر المراكز التعليميه فى ذلك الزمان كان موجوداً فى ساماتيغيلا و كونغ و بوندوكو و مانكونو و طوبي. و من يريد ان يتعمق فى العلم اكثر يسافر الى مدينة كانكان فى جمهورية غينيا او الى براورى او سيغو فى جمهورية مالى لطلب العلم و المعرفة. و بل يسافر البعض الى مصر او تونس، و بالجملة كان طلب العلم يتطلب جهوداً مضنية و غربة طويلة عن الاهل و الاصدقاء و فى ظروف صعبة للغاية، مع قلة الكتب المتوفرة، فمثلاً كانت كتب الفقه عبارة عن: الاشماوى، متن الاخضرى، المقدمة العزىة، الثمر الدانى، شرح الرسالة، موطاء الامام مالك. اما كتب التفسير فكانت عبارة عن: تفسير الجلالين، تنوير المقباس فى تفسير ابن عباس، تفسير الخازن، آيات الاحكام للقرطبى، و بالنسبة الى السيرة النبوية فكانوا يعتمدون على كتاب الانوار المحمديه، نور الابصار، تاريخ اليعقوبى. و فى مجال اللغة يدرسون المقامات الحريريه و كتب المدح عبارة عن برد التخميس، ابن وريد و امثالها، و كثيراً ما لا يوجد فى المنطقة الواحدة الا نسخة واحدة من الكتاب يستنسخها العلماء و الطلاب باقلامهم و يحفظون اكثرها فى اذهانهم.

دخول الوهابية فى ساحل العاج

العامل الأساسى لدخول المذهب الوهابى الى غرب افريقيا و بالتالى الى جمهورية ساحل العاج هو سفر رئيس غينيا السابق احمد سيكوتورى الى المملكة العربية السعودية لاداء مناسك الحج فى مكة المكرمة. و عندما رجع من المملكة العربية السعودية ارسل مجموعة من طلاب العلوم الدينية إلى السعودية لمواصلة الدراسة فى الجامعات السعودية، وهؤلاء الطلاب هم الذين جاؤوا بالمذهب الوهابى إلى دول منطقة غرب إفريقيا، وعندما انتهوا من دراساتهم فى الجامعات السعودية أسسوا المدارس الكلاسيكية فى مدن غرب إفريقيا مثل: مان، بوكى، ابيدجان، غراندابسام فى ساحل العاج، وأكبر هذه المدارس الوهابية فى ساحل العاج هي: مدرسة دار الحديث فى مدينة بواكى التى أسسها الحاج مورى موسى، وهذه المدرسة الكبيرة التى يدرس فيها أكثر من ألفين وأربعمائة طالب وتلميذ من السنة الأولى الابتدائية

إلى آخر المرحلة الثانوية قد لعبت وما تزال تلعب دورا كبيرا فى تكوين وإعداد الكوادر والمبلغين والمدرسين الوهابيين الأكفاء و ارسالهم إلى شتى أنحاء البلاد، إضافة إلى علاقتها الوثيقة بالجامعات الوهابية السعودية حيث تقبل المملكة العربية السعودية كل سنة أفواجا من خريجي تلك المدرسة لمواصلة دراساتهم العليا فى جامعاتها. ولهذه المدرسة فروع كثيرة فى جميع المدن العاجية. إذن يمكن أن نلخص العامل الأساسى الذى مهّد لدخول الوهابية فى ساحل العاج فى زهاب الطلاب الى السعودية لطلب العلم وتأسيسهم المدارس الكلاسيكية الوهابية فى جميع المدن والقرى لأن تحصيل العلم فى تلك المدارس الكلاسيكية أسهل وأسرع بكثير من تحصيل العلم والمعرفة فى المراكز التعليمية التقليدية (الكتاب) التى تمسكت بالفقه المالكى، فكان طبيعيا أن يتوافد طلاب العلم أفواجا إلى المدارس الوهابية التى تدرّس إلى جانب المواد الدينية اللغة العربية، والعلوم العقلية، من الحساب والهندسة والجبر، والعلوم الإنسانية مثل: الجغرافية والتاريخ، وعلم النفس، والإقتصاد، والعلوم الطبيعية مثل: علم الأحياء، وعلم الفيزياء، وعلم الكيمياء، وعلم فيزيولوجية الإنسان، خلافاً للمدارس التقليدية التى تمسكت بالجمود فى أسلوب التدريس على الفقه، وحفظ القرآن، والتفسير، والأدبيات، وفى ظل ظروف وأجواء قاسية لا تقل عن السجون الإستعمارية صعوبة و استعباداً.

عقائد الوهابية ومقابلة الناس لها بالرفض

كان كافة المسلمين فى ساحل العاج يتعبدون بالفقه المالكى، فكانوا يسدلون أيديهم فى الصلاة ولا يرفعون أصواتهم عاليا بكلمة (آمين) فى آخر قراءة سورة الفاتحة، وكانوا يحتفلون عيد المولد النبوى الشريف وبعيد الإسراء والمعراج فى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب و عيد نصف شعبان، وكانوا يعظّمون ليلة القدر ويقومون بنشاطات دينية واجتماعية وعبادية فيها حتى مطلع الفجر. وفى كل يوم يتجول المؤذن بعد الأذان الأول لصلاة الفجر فى أزقة

المدينة أو القرية بالوعظ والإرشاد حتّى وتشويقاً للناس على القيام من النوم والذهاب إلى المسجد لأداء فريضة الصبح فى جماعة.

وكانوا إذا انتقل أحد المسلمين إلى رحمة الله يردّدون كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) عند تشييع الجنازة من البيت إلى المقبرة، وبعد الدفن مباشرة يقرأون بعض السور القرآنية مثل آية الكرسي وسورة القدر وسورة الإخلاص والصلوات على محمد وآل محمد، ويهدون ثوابها إلى روح الميّت. وبعد ذلك يقوم الإمام بتلقين الميّت بأجوبة سؤال منكر التى يسئل عنها فى القبر، ثم ينصرفون إلى منزل المتوفى مباشرة ويقومون بنفس المراسم والقراءات والدعاء للميّت، وفى كل ليلة يأتى العلماء والطلاب إلى بيت المتوفى لقراءة سورة يس ٤١ مرة على روح الفقيد، وبعد ذلك يلقي أحد العلماء محاضرة يحث فيها الناس على التقوى والتمسك بالدين ويستمر هذا البرنامج إلى الليلة السابعة من يوم الوفاة، وفى نهار اليوم الثالث واليوم السابع واليوم الأربعين يقومون بمراسم الصدقة وختم القرآن وقراءة الأدعية للمتوفى، وإذا حانت الذكرى السنوية للوفاة يقومون بنفس البرنامج والمراسم.

وكانوا يتوسلون بالأولياء ويزورون قبور العلماء والأولياء ويتبركون بقبر النبى (ص) إذا ذهبوا إلى مكة والمدينة لأداء مناسك الحج.

وعندما جاء الوهابيون بمذهبهم الجديد الغريب قالوا: ان إرسال اليد فى الصلاة بدعة، وان السنّة الصحيحة المأثورة عن النبى (ص) هو التكتف والقبض فى الصلاة وان عدم رفع الصوت بكلمة (آمين) بدعة أما رفع الصوت بها عاليا حتى تهتز أركان وأعمدة المسجد من شدة أصوات المصلين وبصوت واحد هو السنة الموروثة عن الرسول الأكرم (ص)، وان إصاق أقدام المصلين و اكتافهم بأقدام وأكتاف البعض لتسوية الصفوف وتراصها - حتى لا يجد الشيطان منفذا بين المصلين ويكون سببا للإختلاف بين قلوبهم - هو سنّة مؤكدة لا يجوز التساهل فيها. ويقولون أيضا ان ترديد الشهادتين والدعاء وقراءة الفاتحة بصورة جماعية بعد التسليم من الصلاة بدعة لم يفعله الرسول (ص) وان الإحتفال بعيد المولد النبوى

الشريف، وعيد الإسراء والمعراج وعيد نصف شعبان بدعة منكورة، وكذلك تنظيم المراسم العبادية في الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان المبارك باسم ليلة القدر بدعة محدثة في الدين، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فهذه الإحتفالات والمراسم لم يفعلها الرسول (ص) ولا الصحابة ولا السلف الصالح من هذه الأمة، وأن عيد المولد ليس عيداً إسلامياً وأما الأعياد الإسلامية فهي عيد الفطر وعيد الأضحى فقط.

وبالنسبة لعاشوراء - التي تعتبرها بقية أهل السنة عيد حلول السنة الجديدة - يقول الوهابيون. ان الإحتفال به بدعة والسنة المأثورة عن النبي (ص) هي صيام يوم تاسوعاء ويوم عاشوراء.

كذلك قالوا أن قراءة القرآن للميت في المقبرة بعد الدفن والجلوس هناك حرام وباطل ولا ينتفع الميت بشيء من هذه القراءات والأدعية وإنما يتضرر الميت ويحزن عند سماعه لهذه الآيات القرآنية التي تقرأ فوق قبره، لأنه لا يقدر على العمل بهذه الأوامر والنواهي التي جاءت في تلك الآيات، فكأن القارئ قام بمحاكمته وإقامة الحجة عليه أمام ربه سبحانه وتعالى، وكذلك ختم القرآن وقراءة سورة يس ومراسم الصدقة التي تقام في اليوم السابع واليوم الأربعين وفي الذكرى السنوية كلها حرام وبدعة لا تنفع الميت لأنه جاء في الحديث النبوي: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له). وقالوا ان زيارة القبور والتوسل والتبرك بالأولياء شرك منافي للتوحيد. وكتابة بعض الآيات القرآنية والأدعية المأثورة عن الأولياء وشرب ماء هذه الآيات أو الاغتسال به للشفاء أو للوقاية شرك. واستعانة بغير الله سبحانه وتعالى. وأوجبوا على النساء البالغات ستر الوجه. وأوجبوا على الرجال إعفاء اللحية وقص الشوارب، وقالوا ان تطويل السروال والبنطلون أكثر من نصف الساق حرام بالنسبة للرجال.

فهذه الاعتقادات والفتاوى الفاسدة والغريبة عن الدين دفع المسلمين إلى مواجهة الوهابيين وأفكارهم المنحرفة بالرفض، واتهامهم بأنهم أعداء للإسلام والرسول الأعظم وأولياء

الصالحين، وقالوا انهم جاءوا بهذه العقائد المنحرفة وبدين جديد للترقية بين المسلمين
وصرف الناس عن الأمور المعنوية، لأن الوهابيين قالوا أيضا ان التنفل فى الليل بأكثر من
ثلاث عشرة ركعة فى ليلة واحدة بدعة، وان استعمال السبحة للذكر والورد بدعة منكورة،
وان النظر إلى التلفزيون و أخذ الصور الفوتوغرافية حرام وجعلوا كل مظاهر التدين والتوجه
إلى المعنويات المعروفة لدى الشيوخ خرافة بعيدة عن الدين والسنة المحمدية. ولأجل كل ذلك
نبذهم المسلمون وحاربوهم بكل ما يملكون من وسائل حتى لا ينتشر مذهبهم بين الناس،
وحصلت مصادمات شديدة بينهم وبين الوهابيين فى مدينة بواكى وأبيدجان ومان
وغراندبسام وأبانغورو وطوبى وأوديينى، وأعنف المصادمات كانت فى مدينة بواكى
وأبيدجان ومدينة باماكو عاصمة جمهورية مالى الواقعة فى شمال ساحل العاج، وفى مدينة
بواكى كان المسلمون يترقبون كل من يرفع صوته بكلمة (آمين) فى الصلاة فى المساجد
فيهجمون عليه بتهمة الوهابية والخروج من الدين، والوهابيون بدورهم اتهموا العلماء
بالشرك والخرافة وأنهم بحكم نجس العين لا تجوز الصلاة خلفهم ولا المشاركة فى جنازة
المتوفى منهم، فمواجهة المسلمين الشديدة لحركة الوهابية اوقفت انتشار و نمو الوهابية فى
المناطق الشمالية المسلمة. أما المناطق الجنوبية المسيحية والوثنية فإن المسلمين فيها لم
يستطيعوا أن يمنعوا من انتشار الوهابية فيها لأن دستور الدولة المبني على اللادينية لا
يسمح لأى فرد أن يمنع أية حركة دينية من ممارسة نشاطاتها العبادية والإجتماعية ..

محنة الوهابيين

عندما جاء الوهابيون بأفكارهم المنحرفة قاومهم مسلمو ساحل العاج أشد المقاومة، فألصقوا
بهم كل أنواع التهم لكى يعافهم الناس ولا يعتبروهم مسلمين، ومن جملة هذه التهم التى
كان أغلبها مبالغة وافتراء قالوا: إن الوهابيين يتوضؤون بالبول، ويصلون على جلد الكلب
لكى يكونوا أغنياء، ويبيعون المخدرات فى مساجدهم، وأنهم لا يحبون النبى الأكرم (ص)
وأهل بيته(ع)، وسموا رجالهم بالتيس لطول اللحية عندهم و سخرؤا من نسائهم

المحجبات وسمّوهن بالأصنام لأنهن يسترن وجوههن، وقالوا ان الوهابيين يأمرّون الأولاد والشباب بعدم احترام آبائهم وأن القاعدة عندهم أنه إذا شتم الوالد ابنه ثلاث مرات يجب على الولد أن يرد على أبيه وإذا بلغ أربع مرات يجوز له أن يضرب أباه، فهذه الإتهامات وأمثالها جعلت الوهابيين منبوذين في المجتمع الإسلامي العاجي ومنعوهم من بناء المساجد والمدارس في المدن الشمالية المسلمة. و إلى يومنا هذا لا يوجد مسجد واحد للوهابيين في مدينة بوندكو، ومانكونو، وسيفيلا، وكونغ، وأودييني، وسماتيغيلا، وكاتيولا، وفيركيسي دوغو، وبوخديالي، إلا مدينة طوبى التي استطاع الوهابيون أخيرا في عام ١٩٩٧م بعد جهود جبارة أن يبنوا فيها مسجدا جامعاً. وسوف أذكر قصة هذا المسجد في الفصل الآتي تحت عنوان: فعاليات الوهابيين ونشاطاتهم التبليغية. فخلاصة القول هي أن الوهابيين قد عانوا المشاق والمحن القاسية على يد المسلمين في شمال ساحل العاج مما أدى إلى عدم نمو وانتشار الحركة الوهابية في تلك المناطق الإسلامية إلى وقتنا الحاضر.

فعاليات الوهابيين

عندما فشل الوهابيون في نشر مذهبهم وأفكارهم التخريبية بين المسلمين اتخذوا عدة أساليب لمواصلة كفاحهم و دعوتهم إلى المذهب الوهابي ومن أهم هذه الأساليب:

١. قبول الشباب المسلمين في الجامعات السعودية: إن كل واحدة من الجامعات الدينية السعودية مثل جامعة أم القرى، والجامعة الإسلامية، وجامعة الملك سعود، وجامعة الملك عبد العزيز، ودار الحديث الخيرية، ومعهد الحرم المكي، تقبل سنويا على الأقل عشرة طلاب من ساحل العاج وفي وقتنا الحاضر يدرس أكثر من خمسمائة طالب عاجي في الجامعات السعودية حسب إحصائيات عام ١٩٩٨م، فهذا العدد الهائل من الطلاب إضافة إلى المئات المتخرجين حاملي شهادة الليسانس والماجستير وعلى رأسهم أربعة « دكاترة » وهم:

الدكتور صالح إسحاق بامبا، والدكتور مصطفى سى، والدكتور يونس تورى، والدكتور عمر فاروق سانوغو، وأخيراً الدكتور فاموسى فاديغا، استطاعوا أن يقضوا على مخالفة شيوخ قبائلهم للمذهب الوهابى، وأن يدخلوا الشباب فى الوهابية لأن الشيخ الذى ابنه طالب ومبلىغ للوهابية هو لا يستطيع أن يحارب ابنه وخاصة إذا كان ذلك الإبن هو الذى يتولى مسؤولية نفقات الأسرة من خلال الرواتب الشهرية التى تمنح له فى الجامعات السعودية، وهكذا استطاع الوهابيون أن يثبتوا وجودهم فى ساحل العاج بعد ان كانوا منبوذين ومهجورين خلال سنوات مديدة.

٢. بناء المدارس والمساجد للمتخرجين فى كل أنحاء البلاد: إن المدارس الكلاسيكية الوهابية لعبت دورا كبيرا فى جلب الشباب المسلم إلى مذهب الوهابية، حيث أن المواد الأساسية التى تدرس فيها هي: التوحيد، والفقه، والحديث، تدرس طبقا للأفكار الوهابية، والكتب ترسل من قبل المؤسسات التبليغية السعودية إلى المدارس، فمن الطبيعى أن ينشأ الطالب على هذه الأفكار والإعتقادات الوهابية حتى يصل الوضع به إلى درجة أنه هو الذى يجلب والديه وإخوانه إلى الوهابية، وأفضل دليل على هذا الأمر هو أتى ولدت وكل أسرتى على المذهب المالكي، ولكن بعد أن إتحت بمدرسة الوهابين قبلت مذهبهم واقتنعت به بعد مضي سنتين دراسيتين فى الشك والترديد، وسعيت لتحويل والدى إلى الوهابية، ولكن لبعد المسافة بيننا لم أوفق - لحسن الحظ - لذلك.

٣. إنشاء الجمعيات الإسلامية: إن الجمعيات الوطنية الإسلامية فى ساحل العاج عبارة عن: جمعية التلاميذ والطلاب المسلمين فى ساحل العاج **AEEMCI**، جمعية الشباب المسلمين **AJMCI**، جمعية النساء المسلمات فى ساحل العاج **AFMCI**، جمعية الكوادر والمثقفين المسلمين فى ساحل العاج **CERICI** رابطة الدعاة المسلمين فى ساحل العاج **LIPCI** هذه الجمعيات الوطنية الخمس هى التى اجتمعت وشكلت فى تاريخ ٩/١٩٩٢م المجلس الوطنى الإسلامى **CNI** للتنسيق بين نشاطات الجمعيات المشار إليها

تحت إشراف المجلس الأعلى للأئمة COSIM. والأهداف التي ترمى إليها تلك الجمعيات كما نصت عليه المادة الرابعة للقانون الأساسي هي:

أ) تنسيق أنشطة الجمعيات والجاليات الأعضاء وتنظيم التعاون بينها من أجل إنجاز الأعمال ذات المصالح المشتركة.

ب) القيام - لهذا الغرض - بدراسة وإنجاز أى مشروع يهم جميع أعضائها.

ج) تشجيع نمو وإزدهار الجمعيات والجاليات الأعضاء.

د) تمثيل الجمعيات والجاليات الأعضاء تحت إشراف المجلس الأعلى للأئمة.

هـ) المشاركة في إعداد وتنظيم المناسبات الإسلامية والعبادات الجماعية.

و) إقامة علاقات أخوية مع المنظمات الوطنية والدولية العامة من أجل نفس الأهداف.

ز) القيام بصفة عامة بكل عمل من شأنه تقوية الإسلام والنهوض بالمسلمين فى ساحل. العاج

أما وسائل عمل تلك الجمعيات (المجلس الوطنى الإسلامى) فهي:

أ) تنظيم الندوات والمحاضرات والدورات الدراسية ومعسكرات الشباب.

ب) تنظيم تبادل الخبرات والرحلات الدراسية.

ج) بناء وإدارة المدارس والمكتبات والمنشآت الإسلامية.

د) القيام بالخدمات الإجتماعية: دور الأيتام، المنح الدراسية، مساعدة المرضى والمعتقلين إلخ... والجدير بالذكر هو أن رابطة الدعوة المسلمين فى ساحل العاج LIPCI أنشئت فى مكة المكرمة على يد الطلاب العاجيين فى المملكة العربية السعودية، وعندما تخرج معظم الأعضاء ورجعوا إلى الوطن جعلوها جمعية وطنية تعم كل مدراء المدارس الإسلامية والمدرسين وأئمة المساجد فى كافة أنحاء البلاد، وكان هذا التأسيس فى صيف عام ١٩٨٨م وكنت أنا عضواً فعّالاً فى تلك الرابطة وفى جمعية الشباب المسلمين فى ساحل العاج بعد رجوعى من السعودية فى عام ١٩٩٠م، حتى جئت إلى إيران فى آخر عام ١٩٩٨م ومازلت

عضوا فيهما إلا إذا فصلوني لكوني شيعيا. وهكذا استطاع الوهابيون أن ينفذوا من خلال هذه الرابطة في جميع الجمعيات الوطنية الإسلامية ويسيطروا عليها.

٤. تنظيم الرحلات التبليغية الجماعية إلى المدن والقرى: إذا جاء الطلاب الوهابيون من السعودية لقضاء العطلة الصيفية في الوطن والتي تكون في كل سنة يقضون طيلة هذه الشهور الثلاثة في الرحلات التبليغية الجماعية وتنظيم المخيمات في المدن والقرى لدعوة المسلمين إلى الوهابية.

٥. إنشاء جمعية محو الأمية: هذه الجمعية تقوم بإرسال المعلمين والكتب الدراسية إلى القرى لتعليم الشيوخ والنساء والبنات الذين لم يرزقوا بنعمة التعلم في صغرهم - القرآن الكريم، والفقه والأدعية، واللغة العربية، وهذه الجمعية ممولة من قبل المنظمات الوهابية في السعودية والكويت، وقد ظهرت بركات هذا العمل الجليل على القرويين ولكن مع الأسف الشديد لصالح الإتجاه الوهابي.

٦. شراء الأراضي الزراعية ووقف محصولاتها على المصالح الوهابية: لقد اشترت جمعية التراث السلفي الموجود في الكويت مزرعة كبيرة لجوز الهند قرب مدينة غرانداسام وقدمتها هدية ومساعدة لوهابي تلك المدينة لينفقوا الأموال التي تحصل من تلك المزرعة على مدارسهم ومساجدهم وفي مساعدة المحتاجين منهم.

٧. تنظيم المؤتمرات الكبرى للدعاية ضد الشيعة: عندما ظهرت الحركة الشيعية بين الشباب في عام ١٩٩٥م ركّز الوهابيون أبواق دعاياتهم العدوانية على الشيعة، و طالبوا بتصفية وتخلية الجمعيات الشبابية الإسلامية من كل من له أفكار شيعية، وقاموا بتنظيم المؤتمرات والرحلات التبليغية ضد الشيعة وإعتقاداتهم، ومن أهم تلك المؤتمرات ما نظمه المجلس الوطني الإسلامي في ايلول عام ١٩٩٨م بتمويل من رابطة العالم الإسلامي، وقد أقيم في مدرسة أكاديمية العلوم البحرية في أبيدجان لمدة خمسة أيام و كان مخصصا بأعضاء رابطة الدعاة المسلمين في ساحل العاج، وقد شاركت فيه بصفتي عضوا في الرابطة المذكورة

وممثلاً لمدينة غراندبسام في الظاهر و ان كنت شيعياً، و كتبت تقريراً مفصلاً عن هذا المؤتمر الذى كان منظماً ضد الشيعة وكان موضوعه: انتشار الفرق الجديدة فى الإسلام فى ساحل العاج، و كتبت كل ما قيل عن الشيعة وطرق المواجهة التى إقترحوها ودفعتها إلى مدير مدرسة أهل البيت (ع) فى أبيدجان الشيخ مهدي مولى عباسى ولكن مع الأسف الشديد لم يرتب على هذا التقرير أثراً.

فما ذكرته في هذه المقالة جزء يسير من الجهود الجبارة التى تبذلها الوهابية فى سبيل نشر مذهبهم فى أوساط المسلمين، و مع كل ذلك لم يستجب لدعوتهم إلا ثلة قليلة من المسلمين وبقية المجموعة الكبيرة من المسلمين تنتظر من ياتيها بالأدلة القوية على فساد أقوال الوهابيين والذين يتمتعون بهذه القدرة هم الشيعة ولأجل ذلك لم يسمح الوهابيون بانتشار أفكار الشيعة بين الناس.

الوهابية فى السنغال

السنغال.. من أهم الدول الإفريقية.. التى احتضنت الدعوة الإسلامية منذ القرن الثالث الهجري.. وعملت على دفع مسيرة المد الإسلامى والتعريب فى غرب إفريقيا.. وغالبية الشعب السنغالي من المسلمين الذين حافظوا على هويتهم العقدية منذ أقدم الفترات التاريخية.. حتى صار الإسلام جزءاً لا يتجزأ من كيان السنغال.. وتتوازن هناك الجهود المبذولة لنشر الدعوة الإسلامية مع الجهود المبذولة لنشر اللغة العربية بصفتها لغة القرآن الكريم، والمدخل الرئيس لتفهم مبادئ الإسلام وأصوله وعلومه.

وتقع السنغال فى غرب إفريقيا.. تحدها من الشرق: مالي، ومن الغرب: المحيط الأطلنطي.. والذى تطل عليه العاصمة "داكار"، وتحدها من الشمال: موريتانيا، ومن الجنوب: غينيا وغينيا بساو.. وتمتد أراضي جامبيا داخل أراضي السنغال.. وتبلغ مساحة البلاد (١٩٦ ألفاً و١٩٢ كيلو متراً مربعاً).. وعدد سكانها أكثر من سبعة ملايين نسمة.. ونسبة المسلمين ٩٥٪ من إجمالي عدد السكان.. ونظام الحكم هناك جمهوري.. والعملة المتداولة هي: الفرنك..

وكانت السنغال مستعمرة فرنسية إلى أن استقلت وانضمت إلى الأمم المتحدة في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦٠ ميلادية.. واللغة الفرنسية هي لغة البلاد الرسمية.. وتنتشر هناك بعض اللغات واللهجات الإفريقية.

مواجهة الأفكار المنرفة

بدأت في السنغال حملة مبكرة لتجديد الخطاب الديني.. وتنقية الفكر الإسلامي من العديد من الشوائب التي علقت به.. وتتمثل خطأ التجديد في رفض الفكر الضال الذي تسرب إلى المسلمين في السنغال عبر المراحل التاريخية المختلفة - خاصة الحقبة الاستعمارية للسنغال - والعمل على تعريب اللسان المسلم، وإقصاء التقاليد والعادات التي تتنافى مع أبسط تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

وعلى الرغم من أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم.. وأن الغالبية العظمى من سكان السنغال من المسلمين.. إلا أن اللغة العربية تُدرّس بالمدارس السنغالية بصفتها لغة أجنبية!! كما لا توجد هناك صحف تصدر باللغة العربية.. وقد نشأت بالسنغال بعض الفرق المنحرفة التي تدعو إلى اعتبار "حلقات الذكر" التي تقيمها بعض الطرق الصوفية هناك بديلاً للصلاة!! كما راجت هناك تفسيرات خاطئة للقرآن الكريم.. تستر خلفها دعوات هدامة لإبعاد المسلمين عن العمل بعقيدتهم الإسلامية.. إلا أن علماء الإسلام هناك يعملون على تطهير مناخ الثقافة الإسلامية من الشوائب الدخيلة والمفتريات التي بثها خصوم الإسلام والمسلمين.

نشاط دعوي

وتشهد الدعوة الإسلامية في السنغال.. إشراقاً جديدة.. نتيجة للجهود التي يبذلها دعاة الإسلام والمؤسسات الإسلامية العاملة في مجالي الدعوة والتعليم.. ومن أشهر الجمعيات الإسلامية هناك.. المعهد الإسلامي لتحفيظ القرآن الكريم الذي تأسس منذ عام ١٩٣٩ ميلادية في مدينة "كوكي" ويضم (١٣٠٠) طالباً يتعلمون بالمجان.. ويدرسون علوم القرآن

الكريم واللغة العربية.. وقد أسسه الشيخ "أحمد الصغير لُو" الذي يُعدّ من أشهر دعاة الإسلام هناك.

ويوجد في مدينة "كَوْلُخ" المعهد الأزهري الذي يعمل على نشر الإسلام واللغة العربية.. ويتم التدريس فيه وفقاً للمناهج الدراسية المتبعة في المعاهد الأزهرية المصرية، وقد تم إنشاء مسجد كبير مجاور لهذا المعهد.. وتم تحويل المعهد إلى جامعة إسلامية.

ومن المؤسسات الإسلامية التي تؤدي دوراً إيجابياً في مجال العمل الإسلامي.. المركز الإسلامي في مدينة: "تيفاون" والذي تكلف (٢) مليون فرنك ساهمت بها جامعة الدول العربية.. وقد أصبح هذا المركز الذي يضم مدرسة إسلامية مقصداً لطلاب العلم الإسلامي ودراسة اللغة العربية.. كما أنشأت كلية الآداب بجامعة دكار معهداً للدراسات الإسلامية منذ عام ١٩٧٣ ميلادية.. وقد ساهمت مصر في إنشائه.

ويهتم معهد الدراسات الإسلامية بجامعة دكار.. بتحقيق كتب التراث الإسلامي المدوّن باللغات الإفريقية.. وتتعاون المؤسسات الإسلامية العالمية في إنجاز هذا المشروع وترجمته ونشره.. وقد قامت الجمعيات الدينية بدور مهم في حماية النشء المسلم السنغالي من التيارات الغربية الوافدة.. وذلك بالتوسع في إنشاء المدارس الإسلامية والعربية.. وكل مسجد في السنغال ملحق به مدرسة قرآنية.. ويقوم المسلمون بإنشاء المساجد والمدارس بالجهود الذاتية.. وكل مسجد يُبنى تؤسس له جمعية إسلامية تشرف على بنائه.. لذا تتعدد هذه الجمعيات مع تعدد المساجد التي تنتشر في جميع المدن والقرى.

ومن أهم المساجد في السنغال والتي تقوم بدور مهم في مجالي الدعوة والتعليم.. مسجد "كوكي" بإقليم "لوجا" المبني عام ١٩٣٣ ميلادية.. والجامع الكبير في مدينة "كولاخ" المبني عام ١٩٤٨ ميلادية.. ومسجد "نات دوى"، ومسجد "ميال" في مدينة "سان لوى" ومسجد "بيو كلنج" الذي تكلف (٢٢) مليون فرنك ساهمت بها الدول العربية ومسجد "بامبي" ومسجد "طوبى" وغيرها.

والجمعيات الإسلامية في السنغال.. لها نظام فريد.. فرئيس الجمعية يُطلق عليه لقب "سيرين" أي رئيس وإذا مات تولى ابنه رئاسة الجمعية، ولو كان صغيراً في السن.. أما نائب رئيس الجمعية فيُطلق عليه لقب "مقدم"، أما الأعضاء فيُطلق عليهم لقب "فقراء" أو "أصحاب".. والسبب في ذلك هو انتشار الطرق الصوفية في السنغال.

وقد تأسس في السنغال.. الاتحاد الوطني للجمعيات الإسلامية.. وذلك لتوحيد جهود هذه الجمعيات.. ووضع خطة جماعية للانطلاق بالدعوة الإسلامية بعيداً عن أية معوقات.. وقد انضمت إلى هذا الاتحاد العديد من الجمعيات مثل جمعية أنصار الدين، والجمعية التعليمية الإسلامية، والاتحاد الإسلامي، وجمعية وحدة الإسلام.. والاتحاد التقدمي الإسلامي، وجمعية التضامن الإسلامي.. واتحاد معلمي اللغة العربية وغيرها.

وانعقدت في داكار عاصمة السنغال.. اجتماعات المجلس الإفريقي للتنسيق الإسلامي.. وبيحث المشاركون فيها أحدث وسائل نشر الدعوة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم في القارة الإفريقية.. ووضع أسس التنسيق والتعاون بين المؤسسات الإسلامية، مع مراقبة المصاحف المتداولة للتأكد من صحتها حتى لا تنتشر الأخطاء بين المسلمين، وخاصة عن طريق ترجمات معاني القرآن الكريم.. كما تم الاتفاق على وضع منهج موحد للمدارس الإسلامية، وإعداد معاهد لتخريج محفظي القرآن الكريم، والدعاة، وتدريبهم.. وتدريب أئمة المساجد على الخطابة والوعظ والإرشاد، وعلى أعمال الفتوى.

الوهابية تغزو السنغال بدعم المدارس الأهلية

وقد تم اعتماد إستراتيجية لدعم المدارس الإسلامية الأهلية.. وتعليم اللغة القرآنية عن طريق الإذاعة والتلفاز.. وإنشاء نوادٍ للغة العربية، والعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية، وتقديم المنح الدراسية.. لأبناء المسلمين في السنغال لدراسة علوم الإسلام واللغة العربية بالكلية الإسلامية بالمملكة العربية ومصر وبعض بلدان العالم العربي والإسلامي.. ومن أهم ما تم الاتفاق على تنفيذه.. العناية بطبع المصحف الشريف تحت إشراف لجان متخصصة.

ولكن الذي حدث هو نفس ما حدث في ساحل العاج والنيجر والمغرب العربي ، الأموال جاءت من المملكة الوهابية وتم بناء المساجد الذي تروج للوهابية ، وليتها اكتفت بالبناء وعملت على تعميق الثقافة الإسلامية ، ولكنها العادة الوهابية قام خطباء المنابر الوهابيون بالترويج للفكر الوهابي ثم دخلوا في مشاحنات فقهية كفرت أهل السنغال لأنهم من أصحاب الطرق الصوفية وباقي المفردات الوهابية المعروفة .. ولذا كان الوجود الوهابي في السنغال كارثة حقيقية ، وللتأكد من ذلك نجد أن السنغال من الدول الفقيرة ومع ذلك لم تقدم مملكة الوهابيين أي دعم مالي غير مشروط بالشروط الوهابية ، وكل ما حدث هو أن استقدمت بعض الشباب السنغالي والأفريقي للإنضمام للجامعات الوهابية في المملكة ثم يعودون لبلادهم بالمال الذي يأخذه لأنفسهم ويروجون بالباقي منه على النشاط الوهابي ، وما يحدث في السنغال الآن يؤكد أنها صارت على درب الجماعات التكفيرية ...

الوهابية في الصومال .. لماذا هزمت المحاكم الإسلامية

يقول إبراهيم نصر الدين الخبير بشئون إفريقيا يحلل الأوضاع الصومالية :
تماشيا مع عودة أشكال الاستعمار القديم الذي ضربت به الولايات المتحدة العالم مع بدايات القرن الجديد عندما احتلت العراق عام ٢٠٠٣ يمثل الاحتلال الاثيوبي للصومال الذي ضربت به اديس ابابا القارة الافريقية قبل أسابيع نسخة اقليمية من الاصل الامريكى. هذا الحدث الاقليمي الكبير يثير اسئلة مهمة عن اسباب السقوط السريع لقوات المحاكم الاسلامية الصومالية في مواجهة القوات الاثيوبية وعن التداعيات داخل الصومال وخارجه خاصة بالنسبة لمصر. هذه الاسئلة وغيرها عن الحال في الحاضر والمآل في المستقبل وجهتها الاهالي للدكتور ابراهيم نصر الدين الخبير البارز في شئون القارة الافريقية.

هناك عدة اسباب اولها انه اذا كان صحيحا ان المحاكم استطاعت ان تفرض الامن والنظام على المناطق التي سيطرت عليها وباتت الحياة شبه طبيعية الا ان رفعها الراية الوهابية في التعامل مع الناس يعنى انهم لم يدركوا فكر الواقع ولا التعامل مع فكر الواقع وانما راحوا

يرفعوا شعارات عن تطبيق حدود بعد ان ظنوا انهم استطاعوا ان يسيطروا على معظم الجنوب، ثم ممارسات ضد دور السينما والفيديو وكرة القدم فدخلوا فى مسائل فرعية باتت تبدو لدى غالبية الناس شكلا من اشكال القمع والاضطهاد والمغالاة والتطرف فى تطبيق الدين اذن فكرة تحقيق الامن والاستقرار.. لم يكن تحقيق امن واستقرار رضائيا بقبول المواطنين وانما مخافة. وهناك فرق كبير بين استقرار الخوف وهو مؤقت والاستقرار الرضائى الذى يتسم بالثبات والديمومة.

ثانيا توهمت المحاكم ان لديها القوة العسكرية التى يمكن من خلالها السيطرة ليس فقط على الجنوب انما توحيد الشمال بالقوة ومواجهة اثيوبيا فى الوقت الذى كانت المعدات العسكرية لديهم بالية وتفتقر للتنوع، فلم يكن لديهم لا صواريخ ولا مدرعات ولا قوات جوية ولا مدفعية.

وأظن انهم اقتربوا فى ممارساتهم المتزمته من حركة طالبان. فكرههم الناس ولم يدافعوا عن قضاة المحاكم لأنهم وجودهم وهابييين لا يتعاملون لا مع فحسب الواقع بل يعطون الحجج لأعداء الإسلام في النيل منه ، مثلما حدث مع طالبان ، ومن جديد نجد الدولة السعودية ضالعة أيضا في ضرب المحاكم رغم أنها تبنت الفكر الوهابي التكفيرى ، نظرا لدورها الداعم للسياسة الأمريكية ..

المؤامرة الأمريكية الوهابية

من يراقب الأحداث الدولية يستطيع القول : إن الموقف الأمريكى والدولى هو قص اطراف العالم العربى فمنذ التسعينات من القرن الماضى فى حقبة الرئيس الأمريكى بيل كلينتون جرى الحديث عن القرن الافريقى الكبير او الجديد الذى من شأنه ان يخرج السودان من الحضيرة العربية فالقرن الافريقى الذى نعرفه يضم اثيوبيا واريتريا والصومال وجيبوتى. فالسودان دخلت تمهيدا لفصله عن العالم العربى، وفى هذا السياق الذى يستهدف قص اطراف العالم العربى يجرى طرح فكرة الفيدرالية سواء فى العراق او الصومال او السودان.

فالمطلوب تفكيك الاطراف تحت مسمى الفيدرالية القائمة على اساس اثنى او على أساس دينى اوغيره ثم قصها تماما ومنحها هويات مختلفة ..

وإذا أردنا أن نطبق هذا المفهوم التخريبي على القارة الأفريقية نجد أن السعودية ضالعة في هذا المشروع ، كما هي ضالعة في باقي المشروعات المماثلة في الوطن العربي والإسلامي ، فهي تساعد السياسة الأمريكية في تفتيت السودان ، ولها دور في الصراع الدامي بين التوتسو والهوتو ، كما أن لها دور في تكييف السياسة الأمريكية حسب المفهوم الإستعماري ، وهو المفهوم الذي كتبنا عنه كثيرا ، ولكن الأبرز من ذلك والداعي للمأساة أن حكومة السعودية لم تقم بمساعدة الدول الأفريقية عندما تحدث المجاعات بسبب التصحر ، كما أنها لم تقدم المساعدات من أجل التعمير ، وكل همها أن تنشر الفكر السلفي الوهابي فقط ، والأموال التي تقدمها من أجل هذا الغرض فقط ، حدث هذا في أفريقيا كما حدث في سائر الأنحاء ، ومن خلال الفكر الوهابي يبدأ الإرهاب الذي تكتوي منه الشعوب ، كما أن الفكر الوهابي داعي للإستبداد باسم الدين ، وهي علاقة مشبوهة ، لا يمكن رصد تداعيتها إلا بالرجوع إلى الفكر الذي تبناه ابن عبدالوهاب وابن تيميه ، لأنهم يفهمون أنه لابد من الإستبداد من أجل نشر العقيدة ، ولو حدث أي تحول ديمقراطي سيختفي الفكر التكفيرى ، ولأن الإستبداد وسيلة أمريكية للحرب على الإرهاب ، وعينا لماذا الفكر التخريبي الوهابي يسود حتى لو ادعى أنه يحارب الإستعمار

بقلم / د. عبدالرحمن الأشقر

الكثير من العرب والمسلمين يدركون الدور الانهزامي للنظام السعودي في كل القضايا التي تهم المسلمين في العالم، ويرجعون ذلك - بحسن نية - إلى جبن النظام حيناً ، وإلى تبعيته المطلقة للسياسة الغربية حيناً آخر. ولا يتصورون أن النظام يذهب إلى حدود أبعد من ذلك بكثير، خاصة وهم يراقبون حملات الدعاية والإعلام التي سرعان ما تنظمها أجهزة الدولة لمنصرة بعض القضايا الإسلامية، كأفغانستان خلال حربها مع الروس والبوسنة مثلاً . وهي الحملات التي تهدف إلى التغطية على حقيقة الدور الذي يقوم به النظام في تلك القضايا، والذي يخالف تماما جوهر الشعارات الإعلامية المؤيدة. فضلاً عن دورها الخبيث في تقسيم العالم الإسلامي طائفيًا طبقاً للأجندة الأمريكية الصهيونية والذي تكون عواقبه وخيمة وما يحدث في العراق ولبنان ليس بجديد ويكفي للتدليل على سياستها الضاربة في معاداة قضايا الإسلام والمسلمين .

التذكير بالسياسة السعودية في أثناء الجهاد الأفغاني. إذ طوال سنوات ذلك الجهاد، والسعودية تقوم بدور الوكيل الوقح للمخابرات المركزية الأمريكية، وتطبق السياسات والأوامر والمخططات الأمريكية في الساحة الأفغانية. لذلك فقد دعمت السعودية في بدايات الأزمة الأفغانية الملك داود وكانت وراء الدعوات المطالبة بعودته، ثم تبنت لاحقاً مجموعة القيادات الأفغانية المقربة من الولايات المتحدة والتي كانت خارج إطار التحالف الإسلامي لأحزاب وجماعات المجاهدين، من أمثال مجددي ومحمد بن نبي وجيلاني. ويذكر الذين اهتموا بالجهاد الأفغاني آنذ كيف عسكر مدير الاستخبارات السعودية بتوجيه من الملك فهد في بيشاور عدة أشهر لتابعة موضوع تخريب مستقبل أفغانستان، والحيلولة دون قيام

نظام إسلامي عقب الانتصار على نظام نجيب الله وكان شعار السعودية "إلا حكمتيار" ويعني ذلك قبول أي بديل لنجيب الله "الإحكمتيار"

في السياسة الراهنة يذهل المرء - كما يقول الكاتب حسام الدين الحربي - من التطبيق الحربي والانصياع الإملائي السعودي للمواقف الأمريكية تجاه قضايا الإسلام والمسلمين .. فعدا أفغانستان والبوسنة ، بلحظبوضوح السكوت والصمت السعودي المشين على ما يحدث للمسلمين في جمهوريات آسيا الوسطى ، سواء في " طاجستان " أو غيرها منالجمهوريات ، والتي جاءت على ظهور الدبابات رغم فوز الإسلاميين بالانتخابات التشريعية ، وهي أنظمة شيوعية أو من بقايا الشيوعية وموالية لموسكو قلباً وقالباً ، وأعملت السكين في رقاب المسلمين ذبحاً وترويعاً وتهجيراً ، فإن النظام السعودي يتبع السكين الموقف الأمريكي خطوة بخطوة ، والذي ارتكز على التجاهل لما يحدث هناك ، باعتباره الساحة الخلفية لروسيا وبالتالي إطلاق يد الروس ليفعلوا ما يشاءون .. هذا كله من دون ان نذكر المثل الصارخ والذي لا يزال دمه ساخناً في مأساة الشيشان لاتي أبيد فيها عشرات الآلاف من المسلمين من دون ان يحرك ذلك أي ساكن عند النظام السعودي ، الذي يمكنه ان يفعل الكثير لو أراد مستخدماً نفطه ونفوذه ومصالح الآخرين المرتبطة به .. بل لقد صرح النظام السعودي أن مشكلة الشيشان مشكلة روسية داخلية وهي نفس العبارات الأمريكية وكان كل ذلك يتم بتواز تام ومذهل مع حملات الإعلام المنافق الذي تزعم لاتأييد والناصره ، وهكذا تحول لاروس " الملاحدة" أثناء الحرب الباردة إلى أصدقاء لآل سعود ، رغم إبادةتهم لربع شعب الشيشان المسلم وتشجيعهم كلال لاصرب على إبادة شعب البوسنة ثم شعب كوسوفا المسلمة والتي توظف كل آلتها العسكرية لإبادة ما تبقى من شعب الشيشان في تحد صارخ لكل القوانين والأعراف الدولية ... ومع ذلك فإن آل سعود يعتبرون روسيا دولة صديقة ويعونهم الآن في حل مشكلاتهم الاقتصادية !! .

نوايت النظام السعودي

يأتي المثال الأفغاني السابق ، والمثال البوسنوي الراهن متسقا تماما مع خطوط السياسة الخارجية العامة التي يتبعها النظام في تعامله مع القضايا الإسلامية. تتلخص هذه الخطوط بثوابت ثلاثة هي الآتية :

الثابت الأول:

الحيلولة دون ظهور أي نظام إسلامي في المنطقة العربية أو في العالم الإسلامي يكشف نفاق وزيف المثال السعودي الذي يرفع شعار الإسلام. واستنادا إلى هذا الثابت يمكن أن نفهم المواقف السعودية المعادية لقيام دولة إسلامية في أفغانستان. أو للتجربة الجزائرية واحتمالات انتصار جبهة الإنقاذ الإسلامي.

وفي هذا الإطار يذكر أحد كبار المسؤولين السودانيين في عهد الرئيس الأسبق جعفر النميري ، كيف أن السعودية أرسلت وفدا رفيع المستوى إلى السودان ، إبان الإعلان عن تطبيق الشريعة آنذاك لإقناع النميري بأن الوقت لازال مبكرا لمثل ذلك التطبيق ، وأنه من المفضل تأجيل ذلك أو إلغائه!! .

الثابت الثاني:

الالتزام بالسياسة الأمريكية نوا وروحا وعدم الخروج عليها. وهذا الثابت لا يحتاج إلى دليل إذ أن الموقف السعودي تجاه أية قضية إسلامية بل تجاه أي قضية كانت لا بد أن يتأخر فترة كافية حتى يصدر الموقف الأمريكي ، وحتى يتم تبين ملامح التوجه الأمريكي إزاء تلك القضية المحددة. وبعدها يبدأ النظام السعودي بالتعبير عن موقفه الخاص ، والذي يتطابق في جوهره مع الموقف الأمريكي ، ويتم تغليفه عادة بالمحسنات اللغوية واللفظية السعودية ليظهر وكأنه موقف أصيل.

مأساة الصومال

والشأن الصومالي خير مثال على ذلك ، فالمملكة السعودية بعد ان وقفت في البداية بجانب إتحاد المحاكم الإسلامية التي بدأ ظهورها في شهر يونيو عام ٢٠٠٦ حيث نجحت المحاكم في السيطرة على معظم المناطق الجنوبية ووسط الصومال إلى جانب العاصمة مقديشو مدعومة

بالمال والسلاح من أمراء آل سعود ، وبعد أن أصبحت المحاكم الحاكم الفعلي للصومال ، قامت إثيوبيا بإرسال قوات لدعم الحكومة الصومالية لضعيفة في عاصمتها بيد ولتدخل المحاكم الإسلامية في صراع غير متكافئ مع تلك القوات .

وكان السفير الأمريكي لسابق لدى إثيوبيا ديفيد شين ، قد ذكر في ندوة اعدھا معهد شي أمريكا أن إنتربرايزر المحافظ في واشنطن أن أريتريا والسودان تدعمان المحاكم الإسلامية تكاية في إثيوبيا ، ومصر تدعم المحاكم للضغط على إثيوبيا لكي تكف عن مطالبتها باستحقاقات مياه النيل ، واليمن التي ذكرت تقارير أنها تقدم لادعم العسكري للمحاكم لأسباب أمنية وسياسية ، وقطر التي تدعم الشيخ الشريف أحمد رئيس الحاكم واستقبلته في الدوحة مؤخراً وليبيا لحب الظهور وإثبات الوجود والسعودية لاتي تدعم المحاكم لأسباب دينية نظراً لاعتناق المحاكم الإسلامية للمذهب الوهابي .

ورغم التقارب المذهبي ، إلا أن المملكة أوقفت دعمها للمحاكم بعد ان زعمت الولايات المتحدة الأمريكية أنها تخشى من ان تتنامى هذه القوة وتمثل خطراً على مصالحها في المنطقة ، نظراً لإمكانية تحول البلاد في ظل سيطرة إسلاميين جهاديين إلى مرتع وملاذ آمن لتنظيم لاقاعدة كما حدث عام ١٩٩٨ عندما اشتغلت الراضي الصومالية ممرًا للتسلل إلى كينيا وتنزانيا ، وقد كللت الولايات المتحدة تلك المزاعم بضرب المحاكم الإسلامية جويًا لتنهيار المحاكم وتتلاشى من على الساحة الصومالية بعد أن اختفى الدور السعودي الداعم لها .

وهناك النموذج الأفغاني الذي دعمته في الثمانينات أثناء الاحتلال لاروسي ثم دعمها للنموذج الطالباني في التسعينيات وتبرأها بعد ذلك من هذا النموذج مع بداية الألفية الثالثة. وعندما كانت الولايات المتحدة لا تعتبر خطر المقاومة الفلسطينية خطراً إستراتيجياً على مصالحها في المنطقة كانت السعودية تغض الطرف عندما أصبح دعم الفلسطينيين يهدد مصالحها طلبت بعدم دعم عوائل الشهداء فامتنعت السعودية وانصاعت للأوامر ، فالسعودية لا تدفع أموالاً لا ترضى عنها أمريكا . وهناك نموذج رابع يختلف عن النماذج

الثلاثة السابقة وهو نموذج العراق في عهد الرئيس السابق صدام حسين ، فقد استعملت
السعودية والولايات المتحدة الأمريكية ، العراق لضرب الثورة الإسلامية الإيرانية وهي
مازالت في خطواتها الأولى فقد دعمت الرئيس السابق خلال حربه ضد إيران (حرب الخليج
الأولى).

ثم انقلبت عليه بعد غزوه للكويت ن وخلال فترة الحصار الدولي التي دفع ثمنها أطفال
العراق ونسائه وعجائزه .

وخلال هذا الحصار كانت تصدر أي مساعدة عربية للشعب العراقي فقد نشرت صحيفة
القدس في عددها الصادر يوم ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٠ السلطات الأمنية في المملكة العربية
السعودية قامت بمنع مرور قافلة جمال إماراتية تحمل مليون قلم رصاص مقدمة إلى أطفال
العراق كما قامت بمصادرة الجمال ولم تمنحها رخصة المرور .

أما عن الدور السعودي في احتلال العراق عام ٢٠٠٣ فحدث ولا حرج ويعد كتابه " حاة
الإنكار" ل " بوب ودوور" خير شاهد على الدور الذي قام به آل سعو في غزو العراق.

الثابت الثالث هو إجهاض مشروعات الصحوة التي تحملها الحركات الإسلامية المعاصرة
التي ينظر لها النظام نظرة حذر وشك وريبة. ويتم ذلك الإجهاض بمحاولات الاحتواء
الدائمة، والمحاصرة المالية عبر التضييق على المتبرعين من أهل الخير، وعبر التشويه
الإعلامي المستمر الذي تضطلع به امبراطورية الإعلام السعودي الموزعة على كثير من
العواصم العربية والغربية.

إن تدقيق النظر في الرسالة التي يروجها الإعلام العلماني السافر للمملكة السعودية، سواء
في الداخل أو الخارج، يشير إلى ضراوة الحملة على ما يطلقون عليه "الأصولية". وتتجسد
هذه الحملة في مناصرة الأنظمة القمعية القائمة في المنطقة العربية ضد الحركات الإسلامية
المضطهدة، وهي مناصرة تظهر في كثير من الأحيان فجاة وسافرة.

هذه هي الإطار العامة للسياسة السعودية الخارجية إزاء القضايا الإسلامية ، فتلك الثوابت الثلاثة تطبق بحذافيرها في حالات الإسلاموية كافة وينضاف إليها بنودا جديدة . فالنظام السعودي يخشى أي انتصار إسلامي لأن ذلك معناه قيام نظام إسلامي جديد معبأ بروح التضحية والاستشهاد، وقائم على تاريخ حديث من الجهاد المتواصل. وهذا سوف يكشف زيف النظام السعودي الذي يدعي الإسلام، والذي يهنأ بالعودة على ثروات المسلمين من دون استغلالها لخدمة قضاياهم.

أما الأمر الآخر والذي يخشى منه آل سعود في حالة أي انتصار للمسلمين في البوسنة، فيكشفه تقرير أمريكي سري أعدته إحدى دوائر السياسة الأمريكية الداخلية وقدمته للرئيس كلنتون كي يطلع على التوجهات والسياسات السعودية العامة. يقول التقرير إن النظام السعودي يعتقد بقدرته في أن يغير في مجرى السياسة الدولية عن طريق الرشوة واستخدام المال، ولهذا وبحسب التقرير المذكور فإن ملايين الدولارات صبت في حسابات مسئول كبير في الأمم المتحدة بغية تحقيق ثلاثة أهداف :

١- تهميش القضية البوسنوية إلى أبعد حد، وذلك لأن أي نصر للمسلمين هناك سوف يؤدي إلى ردود فعل مؤيدة له في المنطقة عموما وفي المملكة السعودية خصوصا ، وهذا أمر له عواقب غير حميدة. وفي هذا السياق تأتي أوامر منع القنوات والجهر بالدعاء في الصلوات العادية في مساجد المملكة من أجل نصر المسلمين في البوسنة وذلك خشية إثارة عواطف المسلمين وتعاضم شعورهم بمؤازرة إخوانهم هناك وما قد يترتب عليه .

٢- إضعاف العراق وتأخير رفع الحصار الاقتصادي عنه إلى أطول مدة ممكنة.

٣- إخفاء أية تقارير تصل إلى المنظمة الدولية بشأن الانتهاكات الرهيبة لحقوق الإنسان التي تحدث في المملكة.

يشير ذلك التقرير إذن وبوضوح إلى السياسة السعودية الهادفة إلى إحباط أي نصر بوسنوي. ويمكن تتبع ملامح التطبيق لتلك السياسة عبر التخاذل الرسمي السعودي على مستوى وزارة

الخارجية إزاء تناول قضية البوسنة، فليس هناك أي أثر للسياسة السعودية، أو لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي تسيطر عليه السعودية، وهناك استغراب شديد في أوساط الإعلام الغربي بسبب ذلك الغياب، إذ تعتقد تلك الأوساط أن المجازر الدموية والرهيبية، والإبادة البشرية التي تنفذ بحق مسلمي البوسنة من حقها أن تستثير الدول الإسلامية التي تزيد عن الأربعين، والتي مع الأسف ترهن قرارها، أو جزء منه على الأقل للسعودية، بسبب تأثير الرشاوى والمساعدات المالية للحكومات والحكام. وكثيرا ما تتندر الأوساط الإعلامية الغربية باستهزاء بالغ ومثير للمرارة في النفوس بقرار وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد في جدة في وقت متأخر من عام ١٩٩٣، والذي حدد تاريخا نهائيا !! (وهو ١٧ كانون ثاني (يناير) ١٩٩٤) لوجوب إيقاف الصرب عدوانهم على المسلمين هناك والإ...، ومر بالطبع ذلك التاريخ ومرت عليه الآن سنة ونصف ولازال المسلمون يقتلون كالشياه، ووزير الخارجية السعودي بلع تهديده ثم لا يخجل من مواجهة الصحفيين والإعلاميين.

يذكر هنا أن تاريخا نهائيا مشابها أي ١٧ كانون ثاني (يناير) كان قد وضع خطأ أحمر أمام العراق للانسحاب من الكويت، قبل ثلاث سنوات فقط من الخط الأحمر الخاص بوزراء الخارجية المسلمين تجاه البوسنة، وكان تجاوز العراق لذلك الخط الأحمر بساعات قليلة رغم تلميحه حول رغبته بالانسحاب كفيلا بسقوط أربعين ألف طن من القذائف التي دمرت بغداد في واحدة من أشرس عمليات الانتقام الغربي والأمريكي. أين الخط الأحمر الذي يرسمه الغرب من الخط الأحمر الذي ترسمه الدول الإسلامية بقيادة النظام السعودي !!؟

مهزلة التبرعات

يمكن أيضا تتبع ملامح تطبيق السياسة السعودية إزاء البوسنة داخل المملكة خاصة على صعيد جمع التبرعات، إذ سرعان ما أقفلت الدولة باب التبرعات الشعبية، خوفا من أن تؤدي تلك التبرعات إلى توفير سيولة مالية لدى البوسنويين تؤهلهم لشراء السلاح وتغيير ميزان القوى. وسنت الداخلية السعودية قوانين وأنظمة تقضي باعتقال ومحاكمة كل متبرع

لا يمر عبر القناة الرسمية التي شكلتها الدولة لجمع التبرعات. وهذه القناة هي اللجنة التي يرأسها الأمير سلمان أمير الرياض، حيث تستولي هذه اللجنة على أموال المتبرعين الذين يقدمون أموالهم بنوايا حسنة ومدفوعين بمشاعر مناصرة إخوانهم المسلمين، لكنهم لا يعلمون مصير تلك الأموال وهو مصير مؤلم، إذ تفيد تقارير عديدة ومتطابقة في المضمون، أن تلك الأموال يوجهها الأمير سلمان إلى ما يسمى "المنظمات الدولية وغير الحكومية الإنسانية" وذلك كي تذهب لأعمال الإغاثة فقط، وبالتالي تصبح تلك المنظمات هي الموكلة في توزيع تلك الأموال ويعتقد أن جزءا كبيرا منها يصل إلى أيدي الصرب، وبذلك تتحول تبرعات المسلمين الطيبين إلى سلاح بيد الصرب لنزع المسلمين والاستمرار في إبادة إبادتهم. أما الجزء الآخر من التبرعات فقد علمت "الشرعية" حديثا أنه يتم الاستفادة منه في تسديد الديون المستحقة على الأمراء إلى الدولة .

وكانت أجهزة المباحث والمخابرات السعودية، سواء عبر شبكاتها في الداخل أو عملائها الذين أرسلتهم إلى منطقة البوسنة وكرواتيا أي شاب سعودي ذهب للمساعدة في الجهاد أو للإغاثة. وبفاجأ الشباب المتحمس لمناصرة إخوانهم هناك بالاعتقال والتعذيب عند عودتهم إلى المملكة. حتى أولئك الذين ذهبوا لمجرد الإغاثة.

وحتى يتكامل جوهر السياسة مع نفاق الإعلام، لا تنسى المملكة ولا يغفل ساستها عن الإبقاء على أسلوب ذر الرماد في العيون، فترتفع عقائر المنددين "بوحشية الصرب"، ويتباكى الإعلام الرسمي على ذبح المسلمين، وتشارك المملكة في ما يسمى لجنة الاتصال الخاصة بالدول الإسلامية، فتجتمع تلك اللجنة الفارغة من أي محتوى ومن أي قدرة على الفعل تارة في جنيف، وتارة في باريس في أرقى فنادق العالم، حيث يتسامر وزراء خارجية بعض الدول التي تسمى إسلامية، ويشربون أنخاب الدم البوسنوي المراق ثم يعودون ثملين فرحين إلى بلدانهم.

ضحايا الحج

ما زال العالم الإسلامي صابراً على فشل النظام السعودي في تنظيم موسم الحج ، والذي راح ضحيته الآلاف من المسلمين وكان آخر تلك الكوارث ما شهده موسم الحج عام ١٤٢٧- ٢٠٠٥ ، من قبل استشهاد ٣٨٦ حاجاً نتيجة التزاحم والتدافع على رمي الجمرات بالإضافة إلى إصابة المئات وهذه نماذج وثائقية من الحوادث الدامية في مواسم الحج خلال الربع قرن الماضي (١٩٧٥-٢٠٠٥).

١ - حوادث السبعينات :

مأساة شهداء جسر الجمرات لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة رغم الجهود التي تبذلها وزارة الحج السعودية في التنظيم ، ففي عام ١٩٧٥ وقع حريق ضخم في مخيمات الحجاج قرب مكة وأسفر هذا الحادث عن مصرع ٢٠٠ حاج ، وفي عام ١٩٧٩ تعرض الحجاج في هذا الموسم إلى عمل إرهابي له أبعاد سياسية أدى إلى مصرع ١٥٣ قتيلاً .

٢- أبرز حوادث الثمانينات:

وفي عام ١٩٨٧ وقع حريق في مخيم للحجاج قرب مكة وأودى بحياة ٥ حجاج وإصابة ٣٤ حاجاً وفي نفس الموسم اندلعت المظاهرات وأسفرت عن مصرع ٤٠٢ قتيلاً ، فقد وقعت أحداث دامية في مكة المكرمة بواسطة حجاج إيران حين قاموا بتشكيل مسيرة صاحبة بالآلاف ورفعوا صور الإمام الخميني ، كما قاموا بعمل نموذج للمسجد الأقصى وأرادوا ان يدخلوا به الحرم المكي ، وقد حاولت السلطات السعودية التفاهم السلمي مع الحجاج الإيرانيين لفض المظاهرة التي تردد الهتافات السياسية إلا أنهم أصروا على مواصلة المسيرة إلى بيت الله الحرام ، فتصدت قوات الأمن السعودية للمسيرة وأسفر الاشتباك عن ٤٠٢ قتيلاً ، منهم ٣٠٠ قتيلاً من الجانب الإيراني و١٠٢ قتيلاً من الجانب السعودي وبعض الجنسيات الأخرى .

وبعد أحداث مكة المكرمة ، ظهرت الدعوة لتدويل الأماكن المقدسة من قبل بعض علماء المسلمين .

٣ - حوادث الحج الدامية في التسعينات :

في عام ١٩٩٠ حدث تدافع كبير في نفق المعيصم جنوب مكة ، أدى إلى مصرع ١٤٢٦ حاجا حيث وقع الحادث صباح يوم أول أيام العيد بسبب الزحام الشديد فوق جسر المشاة المؤدى إلى النفق بينما كان الزحام داخله يفوق طاقة استيعابه بأضعاف المرات .

بدأت مشاهد الكارثة في صباح يوم الاثنين - أول أيام العيد - حيث كانت هناك أعداد كبيرة من الحجاج تتجه ناحية مدخل النفق بعد رمى الجمرات بينما كانت هناك أعداد أخرى من الحجاج قادمة من الاتجاه العكسي في طريقها عبر النفق لرمى الجمرات وتصادف أن التقت هذه الأعداد الكبيرة مجتمعة عند نقطة معينة في مدخل النفق وأصبح من الصعب على كل فريق ان يتراجع .. فالأعداد كبيرة مكدسة .. والرجوع إلى الورااء عملية مستحيلة ومن هنا حدث التلاحم بين الأجساد كل منهم يقاوم قدر استطاعته .. يحاول العبور من الآخر وأصبحت هناك كتلتان بشريتان تتصارعان في اتجاهين مختلفين ما بين الدخول والخروج من النفق .. وفى هذا الصراع الذي لم يستمر سوى دقائق سقط بعض كبار السن من شدة الإعياء وانهار مقاومتهم لهذا التدافع البشرى خاصة ان بقية مساحة النفق ممتلئة عن آخرها بما لا يقل عن ٥٠ ألف حاج وهى فوق طاقة استيعاب النفق وأدى سقوط بعض الحجاج إلى سقوط آخرين فوقهم ونتج عن ذلك حالة من الذعر بين الحجاج الذين أحسوا بخطورة الموقف وأصبح كل منهم يريد النجاة بنفسه إما بالاندفاع للخارج أو لداخل النفق .. ولكن فشلت هذه المحاولات وسقط الحجاج تحت الأقدام .. وقد فقدت حاجة ثلاثة من أولادها في الكارثة .. وهكذا تتجسد مأساة النفق التي راح ضحيتها ١٤٢٦ حاجاً وملاأت الأحزان أسرهم على مستوى العالم العربي والإسلامي في أول أيام عيد الأضحى ، وكانت الغالبية العظمى من الضحايا من حجاج دول جنوب شرق آسيا الذين تنتشر معسكراتهم في منى بالقرب من نفق المعيصم المخصص للمشاة فقط حفاظاً على الحجاج من التعرض لأية حوادث مرورية .. ويمتد النفق بطول ٦٠٠ متر وبعرض ٢٠ متراً وتم تزويده بماكينات للتهوية وأيضاً الإضاءة حتى يمكن للحجاج استخدامه سائرين على الأقدام دون مشقة وهذا النفق

يؤدى إلى الأماكن المخصصة لرمى الجمرات في منى وبذلك يسهل على الحجاج الوصول إلى منطقة الجمرات من أقصر وأيسر الطرق سيراً على الأقدام بدون استخدام أي وسيلة نقل .. ومن هنا كان التكديس والزحام المستمر للحجاج داخل هذا النفق باعتباره أقصر الطرق . وقد اجتهدت بعض الأجهزة الإعلامية في تفسير أسباب حادث المعيصم ، فقد أكدت إن انقطاع التيار الكهربائي وتوقف أجهزة التهوية كان السبب في سقوط الضحايا من الحجاج . وكان مصدر مسئول في وزارة الداخلية السعودية قد نفى حدوث أي انقطاع للكهرباء في نفق المعيصم صباح يوم عيد الأضحى وقال أن أجهزة التهوية في النفق لم تتوقف لحظة واحدة ، كما انه لم يحدث أي تصادم لأي سيارة عند مدخل النفق أو خارجه ، ولم يحدث أيضاً أي شغب بين الحجيج يستدعى قفل النفق وإطلاق النار على الحجاج من قبل رجال الشرطة كما تروج بعض الأجهزة الإعلامية .. وأكد أن التزاحم الشديد من الكتل البشرية من وإلى النفق هو الذي أدى إلى أسباب هذه الحادثة المؤسفة أثناء إفاضة صبيحة يوم عيد الأضحى ١٩٩٠/٧/٢ في طريقهم إلى مرمى الجمرات بأعداد قدرت بخمسين ألف حاج ارتدت مقدمتهم عند مدخل النفق في ضغط عنيف نتيجة حالة الذعر المبالغت الذي أصابهم ، إثر وقوع بعض الحجاج بسبب التزاحم الشديد من فوق الجسر المقابل عند مدخل النفق بدليل أن أحداً لم يصب في عمق النفق خلال الحادث الأليم .

* وكان الزحام الشديد أثناء رمى الجمرات سبباً في سقوط ٢٠٠ شهيد أثناء موسم الحج عام ١٩٩٤ ، وفي عام ١٩٩٥ حدث احتراق بمخيم للحجاج أدى إلى مصرع ٣ حجاج وإصابة ٩٩ آخرين .

* وحريق آخر وقع عام ١٩٩٧ بمنى أودى بحياة ٣٤٣ شخصاً وإصابة ٢٠٠٠ حاج واحتراق ٧٠ ألف خيمة وقد ساعد على انتشار الحريق الذي كانت مساحته ٤٠٠ ألف متر (أقيم عليها ما بين ٧٠ - ٧٤ ألف خيمة) سرعة الرياح في ذلك اليوم الذي بلغت ، حسب تقارير

الأرصاد الجوية السعودية ٣٦ كيلو مترا في الساعة ، بالإضافة إلى أن الرؤية لم تكن جيدة ، كما أن الرياح كانت متقلبة .

وعندما سئل الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي ورئيس لجنة الحج العليا عن خطة استبدال الخيام في منطقة " منى " بأخرى مقاومة للحريق ، قال ان هناك عدم تنفيذ كامل لما طالبت به اللجنة من قبل مؤسسات " الطوافة " وهي المسؤولة عن كافة الترتيبات الخاصة بتوفير المواصلات والإقامة للحجاج من كل دول العالم أثناء تأديتهم للفريضة .

مأساة جسر الجمرات المتكررة

* ثم توالى بعد ذلك حوادث رمى الجمرات ففي عام ١٩٩٨ لقي ١١٨ حاجاً مصرعهم في حادث تدافع بمنى أثناء رمى الجمرات ، وفي عام ٢٠٠١ لقي ٣٥ حاجاً مصرعهم في تدافع بمنطقة رمى الجمرات ، وفي عام ٢٠٠٣ لقي ١٤ حاجاً مصرعهم ، وفي عام ٢٠٠٤ لقي أيضاً ٢٥٦ حاجاً مصرعهم أثناء التدافع لرمى الجمرات .

لم يكن تدافع آلاف الحجيج فوق جسر الجمرات في وقت واحد ، هو المتهم الأول في هذه الحوادث التي وقعت في منى أثناء رمى الجمار ، وراح ضحيتها مئات المسلمين خلال موسم الحج ، بل أن تضارب الفتاوى والتشدد فيها حول شعيرة يؤكد علماء ثقة أنها واجب وليست من أركان فريضة الحج ، ربما يكون على درجة من الخطورة لا تقل عن سقوط الضحايا تحت أقدام رفقاءهم في الأرض المقدسة ، إن لم يكن أشد خطراً لأن هذا التضارب وذلك التشدد يتغاضى عما حضنا عليه الدين الحنيف من الالتزام باليسر .

الدور الغائب في حماية المقدسات الإسلامية

تتعرض الرموز و المقدسات الإسلامية للانتهاك اليومي على أيدي قوى غاشمة خارجية في أغلبها و داخلية في بعض الأحيان و لعل صور الانتهاك التي تزايدت في الآونة الأخيرة و

المتمثلة في الاجتراء الغربي على الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) الرسوم المسيئة للنبي في الدنمرك " وما استتبعها من استباحة لحرمت المسلمين في استباحة مكة و المدينة . وهناك العديد من الأصوات في الغرب و في الكيان الصهيوني تطالب بضرب الكعبة .

مكافأة الصهاينة على هدم الأقصى

أما القدس المستباحة منذ عام ١٩٦٧ فقد حذرت مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية يوم ١٣-٣-٢٠٠٦ من خطورة تصريحات نقلتها صحيفة هآرتس على لسان رئيس الكيان الصهيوني موشيه كاتساف طالب فيها بتنفيذ حفريات إسرائيلية أسفل حائط البراق- الجدار الغربي للمسجد الأقصى وقالت المؤسسة في بيان لها: ننظر ببالغ الخطورة إلى تصريحات نقلت عن رئيس الدولة يطالب فيها بتنفيذ حفريات أسفل الحائط البراق تهدف إلى ربط ما يسمونه الطريق الهيروديانى حسب قولهم - المقطع الأول موجود أسفل حائط البراق ، و المقطع الثاني موجود في منطقة القصور الأموية لجدار المسجد الأقصى الجنوبي المطل على منطقة سلوان و بموجب ما يفهم من موقع المقطعين كما يقول د. رفعت سيد أحمد مدير مركز يافا للدراسات الأبحاث في دراسته الرائعة " الطريق إلى مكة و المقدس" فإن هذه الحفريات ستطال جزء من حرم المسجد الأقصى و عليه فإن مؤسسة الأقصى تحذر من مغبة مثال هذه التصريحات المطالبة بتنفيذ هذه الحفريات وترى فيها مواصلة إعلان الحرب على الأقصى و على الأمة الإسلامية بأسرها و على العام العربي و الشعب الفلسطيني كله.

وأضاف بيان المؤسسة أن مطالبة" كتساف" هذه بتنفيذ مثل هذه الحفريات يعطي أمر أو تصريحاً مباشراً بإيقاع الأذى و المس بحرمة الأقصى المبارك و يثبت كذلك مما لا شك فيه أن المؤسسة الإسرائيلية الرسمية وأذرعها المختلفة تشكل الخطر الأول على المسجد ولذا فإن الأمة الإسلامية و العالم العربي و الشعب الفلسطيني مطالب اليوم بالمسارعة إلى إنقاذ القدس و المسجد الأقصى من المخاطر التي يتعرض إليها و التي هي في تصاعد في كل وقت و حين .

ونقلت تصريحات " كاتساف " في خبر نشرته صباح ١٣-٣-٢٠٠٦ صحيفة هآرتس الإسرائيلية وأورد الخبر أن رئيس الدولة " موشيه كاتساف " دعا إلى تنفيذ مخطط الحفريات أسفل حائط البراق (يسمونه الحائط الغربي المبكي).
الهدف ربط مقطعي الطريق الهيروديانى التي كشفت حسب قولهم.

حتى الآن الأول في منطقة النفق أسفل البراق و الآخر في منطقة الحفريات جنوبى الأقصى وقالت هآرتس أن تصريحات رئيس الدولة وردت خلال احتفال بمناسبة إدخال أسفار من التوراة و افتتاح قاعة صلاة كنيس يهودى في منطقة حائط البراق و أضافت هآرتس أن الرئيس كاتساف تعرض لمخطط سابق عرضته هيئة الأوقاف الإسلامية وقال لا أجد إلا مكان واحد مقدس لنا حملنا به منذ ٢٠٠٠ سنة ومن الممكن كشف الشارع من فترة المعبد الثانى حسب قوله أسفل الحائط الغربى (المبكى) حتى يتسنى لنا رؤية الحجارة التي سقطت خلال فترة خراب الهيكل .

وأشارت هآرتس في خبرها إلى أن الرب " شموئيل ربتيوبيتس " راب حائط المبكى وآخرين شاركوا في المناسبة الاحتفالية التي تضمنت عرضاً لعامة الجمهور لأعمال تم تنفيذها في قاعة الصلاة أسفل بناية المحكمة و هي إحدى البنايات التابعة للمسجد الأقصى و التي استعملت كمدرسة باسم المدرسة التنكزية استولت عليها السلطات الإسرائيلية بعد احتلال القدس و المسجد الأقصى عام ١٩٦٧ و قالت هآرتس أن هذه الأعمال تضمنت أعمال صيانة و دعمها اثرياً لجدران المحكمة و الحائط الغربى " حائط البراق " .

وأضافت هآرتس أنها خصصت في المكان منطقة خاصة لصلاة النساء بعد وقت طويل من الممانعة في ذلك وأشارت هآرتس أيضاً في خبرها أنه تم بناء خزانة قدس مركزية و كبيرة بدلاً من عشر خزائن صغيرة و كذلك خزائن قدس تحتوي على مئات من كتب التوراة كما تم تخصيص مكان لمكتبة و أعمال إضاءة و تركيب مكيفات هوائية .

وعقبت مؤسسة الأقصى على تنفيذ هذه الأعمال الإنشائية في محيط حائط البراق ، أن هذه الأعمال الكثيرة تدل على استمرار الممارسات العدوانية التي تقوم بها المؤسسة الإسرائيلية بحق المسجد الأقصى والقدس الشريف وتدل كذلك على الأخطار المحدقة التي طالما حذرت منها مؤسسة الأقصى والقدس الشريف مما يؤكد مما لا شك فيه أن الخطر لن يزول عن المسجد الأقصى إلا بزوال الاحتلال عنه.

هذا و ذكر موقع إخباري إسرائيلي آخر أن الأعمال المذكورة استمرت ثلاث سنوات عن طريق ما يسمى بـ " صندوق إرث حائط البراق " بدعم من الحكومة الإسرائيلية و تبرعات يهودية من أنحاء متفرقة في العالم.

وقد شاهدنا جميعاً عبر القنوات الفضائية مع بدايات العام ٢٠٠٧ عمليات الحفر العلنية التي تقوم بها إسرائيل تحت المسجد الأقصى .

ويرى د. رفعت سيد أحمد أنه بعد زيادة و تيرة الحفريات تحت المسجد الأقصى ومع تنامي ظاهرة العنف الأعمى التي انتشرت في مدن السعودية كافة و على رأسها مكة و المدينة و الرياض ، هناك ثمة سؤال هام يطرحه المراقبون وهو ما الذي يحول دوت أن تقوم إسرائيل غداً بهدم المسجد الأقصى من خلال عملية تفجير أو تخريب تدعي أن بعض المتطرفين اليهود قاموا بها... أو تقوم أيضاً بضرب الكعبة المشرفة أو تخريبها نكاية في المسلمين ورداً ربما على عملية استشهادية كبيرة قد تقوم بها المقاومة الفلسطينية و يضيف د. رفعت : مهما كانت قدرة و قوة أهلنا فإنها لن تكون كافية للحماية أو للإشراف على هذه المقدسات أما لتحديات الإجرامية التي تفرضها أمريكا و إسرائيل ، و لتأمل نموذج لما نقول عما يحدث للمسجد الأقصى من عمليات تدمير تدريجي قد تؤدي قريباً إلى انهياره ، و لنهد إلى التاريخ القريب و لنذكر أن في يونيو ٢٠٠٤ أعلن وزير الأمن العام الإسرائيلي آنذاك أن جماعات يهودية متطرفة تخطط لتدمير المسجد الأقصى إما من خلال خطة مجهولة ترمي إلى تفجيره أو من خلال خطة يقوم بتنفيذها شخص انتحاري هكذا سارعت اللجنة

الإسلامية العليا و سواها من الهيئات الإسلامية إلى إصدار إدانة في الحال وحذرت من أنها ستحمل الحكومة الإسرائيلية المسؤولية عن أي ضرر يلحق بالمسجد .

بعد أسبوع قال الوزير ذاته أن الحكومة الإسرائيلية لا تستطيع ضمان أمن المسجد حيال الجماعات اليهودية المتطرفة .. وثانية أدانت المنظمات الإسلامية هذا التصريح .. قال أن أي اعتداء على المسجد لا يمكن أن يقع دون عون من الحكومة الإسرائيلية .

و المسجد الأقصى ليس كغيره من المساجد فقد جاء في الحديث أن الصلاة في الأقصى خير من الصلاة في أي مسجد آخر عدا مسدي مكة و المدينة.. و المسجد الأقصى هو المكان الذي وقعت فيه معجزة الإسراء و المعراج ، حين أسرى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى القدس ثم عرج به من هناك إلى السماء .

هكذا يشغل المسجد الأقصى مكانة خاصة في عقول المسلمين كافة و قلوبهم ... وما يمكن أن يحدث إذا ما أفلح أي متطرف في تدميره وهو أمر يصعب التنبؤ به أبعد من القول إنه سيوحد مسلمي فلسطين مع المسلمين جميعاً في العالم كله على الغضب، فلا يمكن لأحد أن يقف مكتوف الأيدي غير أن هذه التهديدات ليست بالجديدة كما يقول مفتى القدس الشيخ عكرمة صبري في دراسة هامة له فمنذ الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ و الوقف الإسلامي يبدي قلقاً من محاولات المتطرفين أذية الأقصى .. وأشنع هذه المحاولات كانت إحراق المسجد الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩ على يد واحد يدعى ميشيل دينيز روهان قيل أنه قومي أسترالي وقالت السلطات الإسرائيلية في حينه أنه مختل كي تجنبه الوقوف أمام المحكمة و تغلق الملف.

و في مايو ١٩٨٠ ألقى القبض على جماعة يهودية متطرفة و بحوزتها كميات كبيرة من المتفجرات وكان من الواضح أنها تخطط لتفجير الأقصى و في ١٩٨٣ ألقى القبض على أربعة يهود مسلحين يحملون النفاذ إلى رواق المستوى الأرضي المفضى إلى جامع مروان الذي يشكل جزءاً من البناء و تمكن الحراس من إجهاض العملية قبل أن تتم ..

وبعد ذلك بسنة في ٢٦ يناير حاولت مجموعة من اليهود الدخول إلى فناء المسجد وهم يحملون ثلاث قنابل وست حقائب من المتفجرات قرب الجدار الشرقي للمسجد و استطاع المجرمون الفرار عبر المقبرة قرب بوابة الرحمة .

غير أن هذه الجماعات الصغيرة ليست التهديد الوحيد... ففي أغسطس من العام ٢٠٠٠ شكل حاخامات إسرائيل الكبار لجنة دينية لإطلاق مشروع يرمي إلى كنيس داخل فناء الأقصى .. وفي فبراير ٢٠٠١ دعا بروقيسور إسرائيلي رافاييل يسراميلي الحكومة الإسرائيلية إلى تقسيم الأقصى بين المسلمين واليهود كمرحلة أولى . وبين هاذين التاريخيين وفي ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٠ دخل آييل شارون وكان آنذاك زعيم المعارضة حرم المسجد الأقصى ومعه ١٥٠٠ من رجال الأمن.. وفي ذلك اليوم قتل ستة أشخاص في حرم المسجد وأدت "الزيارة" إلى اندلاع انتفاضة الأقصى . كما كانت هناك حوادث متشابهة تورط فيها الجيش الإسرائيلي .

وفي أبريل ١٩٨٢ فتح جندي الاحتياط الإسرائيلي هاري جولدمان النار على ساحة المسجد وقتل اثنين .. كما جرح ستين بسببه وبسبب الجنود الآخرين الذين هرعوا لحمايته .. وقد أطلق سراحه بعد توقيفه لفترة قصيرة.

في ٨ أكتوبر ١٩٩٠ قتلت القوات الاسرائيلية ٢٣ شخصا وجرحت ما يزيد على ٢٠٠ في باحة المسجد .. وفي ١٩٩٦ أثناء المظاهرات ضد فتح النفق الإسرائيلي تحت بناء المسجد قتل الجيش الإسرائيلي ١٤ شخصا آخر وجرح العشرات.. وقت مظاهرات النفق لخشية المسلمين من الحفر داخل البناء وتحتة .. فالمخاطر والتهديدات المحدقة بالأقصى ليست مباشرة وحسب. فقد بدأت عمليات الحفر والتنقيب الإسرائيلية في المنطقة في سبعينيات القرن العشرين وأخذت شكل حفر أنفاق تركزت في المنطقة القريبة من البوابة الخارجية الغربية للمسجد.. وقد أدى الحفر في النهاية إلى ظهور تصدعات عديدة في عدد من المباني القديمة العائدة للوقف الإسلامي على طول الجدار الغربي والعائدة من حيث التاريخ الى اليهود الأيوبية والمملوكة والعثمانية .

وفى العام ١٩٨١ كشف التنقيب الأثري الإسرائيلي عن بئر في الساحة الغربية .. وفي الحال زعم قسم الآثار الإسرائيلي أن البئر هي نفق تحيد تحت قبة الصخرة . حتى ثبت زيف هذا الزعيم فما اكتشفوه لم يكن سوى بئر تعود أحجار إلى العهد المملوكي . في العام ١٩٨٤ أدت الحفريات إلى انهيار الدرجات المفضية إلى مكاتب الوقف عند بوابة المجلس وأدت في العام ١٩٨٨ إلى انهيار الرواق المفضي إلى بوابة غوانمة .

ورغم هذه الحقائق التاريخية إلا أنه ليس لدى الوقف إسلامي في القدس معلومات مفصلة عن التنقيبات وأعمال الحفر ، لأن سلطات الاحتلال الإسرائيلي لم تتح لمهندس الوقف النفاذ إلى هذه المعلومات ، غير أن بمقدرنا أن نقول أن الكشف عن أساسيات المسجد الأقصى من خلال الحفر حولها والذي أخذ منعطفاً جديداً من خلال العمليات العلنية الحالية حول المسجد والتي شاهدها مسلمي العالم أجمع . معناه أن الأقصى أصبح في خطر كبير وقد يفجر أو يدمر على أيدي الصهاينة عن قريب ، وبدلاً من أن تقوم السعودية بدورها كزعيمة للعالم الإسلامي كما تردد أبقائها الإعلامية في اتخاذ إجراء ضد الكيان الصهيوني في المحافل الدولية ، نجدها _ للأسف تكافأ هذا الكيان اللقيط خلال الحرب الأخيرة على لبنان من خلال التطبيع معه . وتعود علاقة السعودية بالقضية الفلسطينية إلى عهد المندوب السامي البريطاني في فلسطين " آرتر واكهوف " والذي هالة الإضراب السياسي الطويل في فلسطين (استمر ستة أشهر متصل) فاتصل بالأمير عبد الله ، الذي توج على منطقة اعتبرتها الإمبريالية البريطانية آنذاك ، امتداداً للكيان الصهيوني ، الذي كانت بريطانيا تزعم أقامته في فلسطين .

ويقول المؤرخ الفلسطيني عبد القادر ياسين حين طال أمد الإضراب وبدأ الكفاح المسلح في فلسطين سنة ١٩٣٦ ، اتصل واكهوب بالأمير عبد الله ، أمير شرق الأردن ليقوم له واكهوب : أعد لي مشروع بادرة (نداء) من الملوك والأمراء العرب للشعب الفلسطيني ، كي يوقف إضرابه ، فأعد عبد الله مشروع النداء هذا ، وكان يتضمن تعهداً بأن توقف بريطانيا الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ونقل الأراضي إلى ملكية اليهود ، وانزعج واكهوب من هذه

الأشتراطات ، وطلب تقديم نداء خال من الأشتراطات ، وكتب واكهبوب هذا النداء الذي وقعته مجموعة من الملوك والأمراء العرب ، داعي الشعب الفلسطيني إلي إيقاف ثورته ” اعتماد ” علي حسن نوايا حليفتنا بريطانيا ، حينها رأينا الملك السعودي عبد العزيز يشطب كلمة ” حليفتنا بريطانيا ” ، وليكتب بيده ” صديقتنا بريطانيا ” ؛.... وقع هذا النداء كل من : الأمير عبد الله بن الحسين (أمير شرق الأردن) ، الملك عبد العزيز آل سعود (ملك السعودية) ، والإمام يحيى (ملك اليمن) ، والملك غازي (ملك العراق) ، ورفض مصطفى النحاس باشا - وكان رئيسا لوزراء مصر - أن يوقع هذا النداء ، مستبشعا إياه ؛ قدم النداء ، وفي اليوم التالي ، طلب اللجنة العربية العليا التي كانت تقوم الحركة الوطنية الفلسطينية ، وهي مؤسسة جبهوية للأحزاب الفلسطينية الستة ، من الشعب الفلسطيني أن يصلي علي أرواح الشهداء ، وأن يلتزم الصمت وأن يوقف الإضراب ، وقد كان ؛. ويواصل ياسين سرد تفاصيل الدور السعودي في إقامة الدولة الصهيونية : في عام ١٩٦٦ أرسل الملك فيصل بن عبد العزيز إلي الملك حسين ملك الأردن ، يلح عليه في الخلاص من الحركة الفدائية الفلسطينية ، وهذا أمر كشف مؤخراً.

وفي خريف ١٩٨١ ، تقدم الأمير فهد بن عبد العزيز (وكان وليا للعهد بمبادرة القمة العربية ، مؤداها الاعتراف بإسرائيل ، مقابل دولة فلسطينية علي بعض فلسطين ، وحينما رفضت القمة المبادرة ، هددهم فهد بقوله : ’ ستعودون بعد ستة أشهر لتعتمدوا هذه المبادرة...’ وقد كان ، فالقمة انعقدت في أكتوبر ١٩٨١ ، وفي يونيو ١٩٨٢ ، كان الاجتياح الإسرائيلي لبنان ، وخروج القوات الفلسطينية من بيروت - آخر سفينة خرجت ١٩٨٢/٩/١ . ورفضت السعودية ومعها دول عربية أخرى عقد قمة عربية لنجدة الفلسطينيين واللبنانيين المحاصرين مدة حوالي ٣ أشهر متصلة ، وتركوهم دون مجرد عقد اجتماع لمناقشة الحصار ، واليوم تأتي وزيرة الخارجية الأمريكية إلي القاهرة ، وتشير بإصبعها فيأتي وزراء الخارجية العرب يجلسون أمامها كالتلاميذ ويتلقون التعليمات ؛.

انعقدت القمة العربية في ١٥/٩/١٩٨٢، أي عقب خروج آخر السفينة للمقاومة بأسبوعين، وكان الانعقاد في تونس، وتحت الموافقة علي بادرة فهد ؛ .
ولم يبق من المبادرة إلا التنازلات التي قدمها النظام العربي الرسمي لإسرائيل وأمريكا ،
فيما لم يستجيب الكيان الصهيوني للمطالب التي طرحت في المبادرة ، وهكذا قدمنا
تنازلات مجانية بخاتم المملكة السعودية ؛ .

ولنأت للتسعينات ، الصحفي الأمريكي المعروف بصهيونيته " توماس فريدمان " يوحى
لولي العهد السعودي عبد الله العزيز - الملك الحالي - وتحديدًا في عام ١٩٩٢ ، بمبادرته
المسماة المبادرة السعودية للسلام ، والتي قدمها عبد الله للقمة العربية في بيروت ٢٠٠٢ ،
التي تجري عليها تعديلات شكلية ، لتعتمدها يوم ٢٩/٣/٢٠٠٢ ، وفي اليوم التالي ليوجه
شارون صفعته لنظام العربي بأكمله فيجتاح الضفة الغربية ، ويحاصر رئيس السلطة
ال فلسطينية في مقره برام الله دون أن تحرك دولة عربية واحدة ساكنًا! .

وهنا نسأل : يفترض في السعودية ، كدولة عربية أنها طرف في الصراع العربي - الصهيوني
و حين تقدم مبادرة فقد تحولت لوسيط أو حكم بين طرفين فلماذا غسلت السعودية يدها من
القضية الفلسطينية وتحولت لوسيط صلح ! .

واليوم بعد ممر أربع سنوات ونصف على هذه المبادرة يضغطون على حماس كي تقبلها
بينما إسرائيل أعلنت كذا مرة أنها ترفض هذه المبادرة لماذا يريدون تأديب حماس ومعاقبتها
وتركيها ؟ لقد ركع عرفات من قبل ثم خليفته محمود عباس ومع ذلك لم يعطوها شيئاً قتل
عرفات وها هم يتلاعبون بمحمود عباس! .

والمثير للضحك أن النظام العربي بكل حكاه وافقوا على المبادرة الرباعية المسماة بخريطة
الطريق التي ظهرت بعد حوالي عشرين شهراً من مبادرتهم في مارس ٢٠٠٢ فكيف تكون
صاحب مبادرة وتصوت لمبادرة أخري إذن أنت تنازلن عن مبادرتك ومع ذلك ما زالوا
يتحدثون عن المبادرة العربية!! !

بعد هذه الخليفة التاريخية والسياسية تصبح الاتصالات السعودية الإسرائيلية الراهنة مجرد تحصل حاصل ، فتتويجاً لكل ما فات جاء تحريض الملك السعودي لإسرائيل في الخير أن تواصل قتالها للإجهاز على حزي الله لكن ما أنجزه حزب الله ميمز الوطن العربي إلى معسكرين : معسكر السائرين خلف الإدارة الأمريكية والمعسكر الوطني الذي لن يهدا له بال حتى يحرر كل الأراضي العربية التي غدت مستعمرات من الخليج إلى المحيط .

ويري د . رفعت سيد أحمد - مدير مركز يافا للدراسات والأبحاث - أن الحرب الأخيرة التي شنها الكيان الصهيوني على الشعب اللبناني كشف الدور الخبيث للسعودية الذي اتضح في التغطية السياسية للعدوان الإسرائيلي ، من خلال المواقف والبيانات السياسية التي تهم حزب الله بالغامرة...والدينية من خلال فتوى ابن جبرين ضد حزب الله..والعسكرية من خلال شراء أسلحة (فرنسية ٥ مليار يورو) ،(وبريطانيا ١٢ مليار دولار) ، (وأمریکا ١٥ مليار دولار)لتخزينها في المخزن والتشغيل الاقتصاد العربي الذي بدوره يدعم الاقتصاد الإسرائيلي.

وأنة منذ إعلان الملك السعودي الراحل فهد عن مبادرته للسلام في بيروت بين العرب وإسرائيل ، مروراً بمؤتمر مدريد للسلام في العام ١٩٩٢ ، فمبادرة الملك عبد الله للسلام في بيروت في العام ٢٠٠٢ وما صاحب ذلك من إقدام دول الخليج على إلغاء مقررات المقاطعة العربية ك (إسرائيل) ، من الدرتين الثانية والثالثة في سبتمبر ١٩٩٤ ، ثم انخراط بعض من الدول في علاقات اقتصادية وتجارية مباشرة مع إسرائيل مثل : قطر وسلطنة عمان والبحرين وهي علاقات سرعان ما تراجع قوة الدفع لها في السنوات الأخيرة ، بسبب لجوء إسرائيل المفرط إلى استخدام ما يسمى الدبلوماسية الإكراهية ضد العرب ، والتي تزواج بين الضغوط السياسية والضغوط العسكرية ، والحمل العرب على الاستجابة لإملاءات الواقع الصراعى ، الذي يختل فيه ميزان القوى لصالح إسرائيل..وهي سياسة تستهدف دول شبه الجزيرة العربية ، خاصة ، كي تؤدي أكلها ، ضمن الاستراتيجيات الغربية عامة ، والأمريكية

خاصة، فيما يتصل بإعادة رسم خرائط المنطقة العربية ،على نحو ما يجري حالياً في العراق والبنان.

ويضيف د. رفعت سيد أحمد :تمتد العلاقات الإسرائيلية -السعودية وتتشعب ولا تتوقف عند مبادرات الملك عبد الله ولا عند موقف دولته المخزي أثناء حرب لبنان لكنه يمتد بعمق التاريخ ويحمل حقائق مذهلة ،كشفت بعضها د. بشير صقر في دراسته الرائعة المعنونة ب (قراءة في أوراق التطبيع السعودي -الإسرائيلي) بصحيفة التجمع المصرية" (٢٤/١/٢٠٠٦) وجاء فيها كشفا مهما لجذور العلاقات السعودية- الإسرائيلية منذ حرب الخليج الثانية فتكشف الدراسة أن الصحفي الإسرائيلي (ستيف رودان) ذكر في الجيورز اليم بوست في ٩/١٧/١٩٩٤/ تفصيلاً أدق للمسألة عندما يقول أن حرب الخليج عام ١٩٩١ قد شكلت منعطفاً هاماً بالنسبة لصناعات إسرائيل العسكرية لأنها مكنتها من بيع الأسلحة الإسرائيلية على نطاق واسع للولايات المتحدة وحلفائها العرب، فمثلاً اشترت السعودية منها منصات إطلاق صواريخ توماهوك وقذائف مضادة للدروع ،وطائرات استطلاع بون طيار، وأجهزة ملاحية فضلاً عن ١٤ جسر صنعتها شركة تاس الإسرائيلية (سعر الجسر الواحد مليون دولار)ويضيف الخبيران الأمنيان (مليمان ، رافييف) ؟أن إسرائيل شحنت للسعودية مناظير الرؤية الليلية ومعدات لزرع الألغام وقد أمر الجنرال شوارتزكوف قائد قوات التحالف الغربي ضد العراق بإزالة جميع الكتابات العبرية المنقوشة على الأسلحة لا يكتشف أحد منشأها .

ويكفي لفضح ادعاءات البيانات السعودية شديدة اللهجة (المناذية دوماً بوحدة العالم الإسلامي) ما عرضه التلفزيون البريطاني إبان حرب (العراق - الكويت) من صور لجنود من اليهود الأمريكيين وهم في وضع الصلاة وما علق بع مقدم البرامج على الصورة قائلاً: هؤلاء الجنود يصلون على أرض العرب من اجل أن يساعدهم ربهم على هزيمة العرب. .

إن المتتبع لمنطق السياسة السعودية يدرك أن الريال عندها هو فرس الرهان في كل خطوة تخطوها.. فهي تدفع لإسرائيل لبناء الحاجز الترابي في صحراء المغرب، وتعلن استعدادها لتمويل صفقات السلاح لإيران وتساوم إسرائيل على رفع العلم السعودي على المسجد الأقصى مقابل عدة الملايين من الريالات وتقترح منح الكيان الصهيوني عدة مليارات مقابل حل النزاع مع العرب.. ثم يأتي الخبير العسكري (سيلج هاريسون) ليبرز في كتابه (الحرب ذات الكثافة المحدودة) أبعاد عمليات التمويل وطرقها قائلاً: إن مصدراً رفيعاً في المخابرات الأمريكية أبلغه على سبيل المثال أن المخابرات الأمريكية دفعت ٣٥ مليون دولار عام ١٩٦٨ لإسرائيل من الأموال السعودية لشراء بعض الأسلحة التي غنمتها إسرائيل من الفلسطينيين أثناء غزوها لبنان عام ١٩٧٢ قم قامت بشحنها جواً إلى باكستان لتوزيعها على المجاهدين في أفغانستان (مداولات مجلس الشيوخ الأمريكي عام ١٩٨٧ ص ٢٠٣).

وتضيف النيويورك تايمز في ١٩٨٧/٦/٣، أن آل سعود يستخدمون البنك الأهلي التجاري بجدة الذي لا يخضع لرقابة مؤسسة النقد السعودية لتمويل دبلوماسيتهم الصاقية في العالم العربي والإسلامي ولخدمة المصالح الأمريكية ويقوم البنك بالتالي بإرسال الموال إلى ميامي في أمريكا من خلال بنك لآخر هو "A.B.C" في جزر الكيمان.

مخططات تخريبية

وقد ذكرت مجلة سعودية مستقلة أن الحكومة السعودية شاركت في مخططات تخريبية في عدد من دول الخليج من بينها قطر والإمارات وعمان... ووجهت مجلة الحجاز المستقلة الصادرة من لندن نقداً لاذعاً لإلى الحكم السعودي والعائلة المالكة مشيراً إلى أنه بعد سبعة عقود على إعلان المملكة لم تتوفر بينها شروط الدولة الوطنية وأنها قامت على قاعدة تقسيم المجتمع ضمناً لوحدة السلطة وتمركزها بغرض السلطة وليس الدولة..

وأضافت في افتتاحية بعنوان "الدولة الطائفية" أن النزوع التقسيمي لم يكن مقصراً على السياسة الداخلية مقصراً على السياسية الداخلية فحسب وإنما عكس نفسه بشكل واضح في

السياسة الخارجية حيث شاركت السعودية في مخططات تخريبية في عدد من الدول العربية بما فيها دول الجوار الخليجي مثل قطر وعمان والإمارات وناهضت المشاريع الوجودية مثل الوحدة بين مصر وسوريا وإضافة لذلك تأمرت في بعض المراحل على اليمن الشمالي والجنوبي لمنع الوحدة ، هذا فضلاً عن امتداد ذراعها إلى دول العالم الإسلامي لبث مشاريع طائفية .

ورأت المجلة أن العائلة المالكة في السعودية تعودت العيش على تناقضات المنطقة وتفجيرها من الداخل من اجل تامين استقرارها حيث أخذت على عاتقها إشاعة الفرق بين العرب والمسلمين وتعدية الفتن الطائفية والمذهبية في الدول العربية وخاصة في العراق ولبنان من خلال تجيش ماكيناتها الإعلامية الضخمة سواء في الفضائيات التي تملكها أو تمويلها أو من خلال الصحافة المكتوبة باختيارها مقالات ملغومة منشورة في صحف لبنانية أو خليجية وتعبد تعميمها في مواقع إعلامية سعودية إضافة لتحريك رجال الدين سلفيين متشددين لتدبيح بيانات تحريضية ، موضحة بأن العائلة السعودية المالكة تستنفر كتابها استعداداً لحرب طائفية طائشة تعيد أجواء الحرب الإيرانية العراقية .

وحذرت المجلة من ارتداد الجيش الطائفي الذي تقوم به العائلة المالكة في المملكة عليها في داخل الأمر الذي يهدد وحدتها وتماسكها وأن من البلاهة أن يفكر النظام السعودي بان المخاطر بالسلح المذهبي في التجاذبات السياسة في هذا الوقت ستأتي بنتائج إيجابية عليها وان تحسب أن السلح المذهبي محتكر بيدها ولن يقع في يد خصمها ما لم تقرر خوض حرب شاملة تريد عليها وعلى من تعتبرهم أعدائها خاصة وان هلم يعد سراً في كون الطائفية كانت دفعة سعودية وكل يصدر من بيانات دينية أو مقالات صحيفة أو برامج صحيفة تنطوي على توجيهات مذهبية علنية كانت أو كتوبة سينظر إليها على أنها موقف رسمي سعودي صادر بمباركة العائلة المالكة .

وأشارت المجلة إلى الدور الذي تقوم به المملكة في تغذية وتأجيج الفتن المذهبية في المنطقة وافتعال حرب طائفية خاصة في العراق لبنان، للحفاظ على نظامها الداخلي وتصدير مشاكلها

إلى الخارج بدلاً من معالجتها محلياً والدفاع عن نفوذها إثر خشيتها من فشل المشاريع الأمريكية في المنطقة ، وذلك كله بذريعة مواجهة "الهلال الشعبي" الممد من إيران إلى غزة ، موضحة بأن عجز السعودية عن مواجهة إيران يدفعها إلى منازلة النفوذ المعارض في الدول الأخرى مثل لبنان وفلسطين وسوريا بوسائل التآمر والفتنة.

واعتبرت أن تأييد السعودية لانضمام اليمن (ذي الأغلبية اليزيدية الشيعية) جاء ليوازن المحور الإيراني السوري من الشمال حتى لا تطوق مذهبياً من الجنوب.

ويرى الكاتب الأمريكي كازيمي أن الجهاديين السائرين على نهج أبي مصعب الزرقاوي والذين أرسوا ثقافة العداة للشيعية في صلب عقيدتهم وكفاحهم سيتم إطلاقهم الآن ضد الشيعة في لبنان وسوريا والعراق وبالتالي حرمهم عن مواصلة هدفهم المتمثل في الإطاحة بالنظام السعودي.

ويعود كاريزمي بمقال كتبه في يونيو ٢٠٠٥ عن مخطط سعودي يماثل ما يحاول الأمير تحقيقه... فمنذ ١٩٨٠ بدأ السعوديون بتنفيذ مخطط في أفغانستان ود عموا المجاهدين في مواجهة السوفيت حينها كان الأمير تركي بصفته رئيساً للاستخبارات مهندساً لعملية "الإلهاء الأفغاني" الذي صرف الإسلاميين الوهابيين عن السعودية وعن تهديد المملكة وكان الأمير بندر سفيراً في واشنطن ساهم في دفع الأمريكيين نحو هذه الإستراتيجية .. وسار المخطط بشكل جيد وحقق الأهداف القصيرة المدى .. ولكن على المدى الطويل تحولت النتائج إلى سيئة جدا بالنسبة لكل المعنيين فقد ظهر أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة .

قال الكاتب الأمريكي أن الأمير بندر لا يزال يتبع نفس السياسات التي كانت سائدة بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٠ تماماً كما يفعل صديقه الحميم وزير الخارجية الأمريكي الأسبق ورئيس مجموعة دراسات العراق جيمس بيكر المتهم من بعض الجهات بإتباع المدرسة القديمة وفقدان الصلة بالمتغيرات الكبيرة التي حدثت في الشرق الوسط بينما يبدو الأكبر تركي ، وهو المتهم بأنه المسئول الرئيسي عن خلق "وحش أسامة بن لادن" قد تعم من تحابه

والخطوة الأولى في مخطط الأمير بندر هي إظهار المملكة السعودية على أنها حامي الشرق الوسط السني من خطر الشيعة والإيرانيين .

ويري الكاتب انه من الخطأ الاعتقاد بن لإيرانيين قد يذهب بهم الحال إلى التصديق أنهم قد لا يهيمنون على العالم الإسلامي .. فالإحداث في لبنان وبين الفلسطينيين أشنت القادة الإيرانيين وحتى أكثرهم حماساً مثل الرئيس نجاد عن الفكرة القائلة أنهم يستطيعون قيادة العالم الإسلامي من خلال مواجهة إسرائيل .

والإيرانيون يكشفون - كما فعلوا في بداية الثورة الخمينية - حينما كان التفكير في تصدير الثورة أنه يمكن التشكيك فيهم بسهولة من قبل منافسيهم السنة بدعوى أنهم هرطقة وحسن نصر الله رأي فيه العرب جمال عبد الناصر ثانياً خلال الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان في يوليو ٢٠٠٦ يصفه اليوم سنة لبنان بالمتعش للسلطة وذلك بعدما حاول استغلال رصيده في محاربة إسرائيل لتدعيم مشاركته في السلطة .

ويتابع الكاتب فيروي أن رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية الذي زار طهران طلباً للمعونة المالية والدعم رفض أن يظهر وهو يصلي جنباً إلى جنب مع الشيعة في طهران وانتظر انتهاء صلاة الجمعة حتى يوم جماعته في مكان خاص.

فالعداء للشيعة من قبل الحكومة السعودية هو وسيلة تنتزع فيها ورقة من أيدي الجهاديين والزرقاوي لم يخترع العدا للشيعة ولكنه استفاد من الدعم والتمويل الذي تقدمه الحكومة السعودية لهذا الخطاب المعادي للشيعة .

ويري الكاتب انه ليس مستغرباً أن يصدر ٣٨ عالم دين سني في السعودية بياناً ضد الشيعة في العراق ثم يتبع ذلك بفتوى للشيخ عبد الرحمن البراك يكفر الشيعة ويعتبرهم اشد خطراً على الإسلام من اليهود والنصارى.

ويشير الكاتب أن معاقبة إيران تصب حتماً في صالح أمريكا والعالم ولكن لا يجب أن تتحول سباً لنزاع طائفي دائم في العراق ولبنان .

ويلخص كازيمي إلى انه يجب احتواء إيران وإعادة العراق إلى العمل .. لكن القبول بوسائل الأمير بندر يمكن أن تؤدي مؤقتاً إلى ضرب الإيرانيين ولكنه سيشتعل النار الطائفية في العراق وسيجعل السعوديين يحافظون على خطاب الكراهية والاستفزاز. وإجمالاً على ما سبق فإن النظام السعودي الفاشل في كل شيء حتى تنظيم موسم الحج الذي نادراً ما ينتهي من دون ضحايا ما زال يتعامل بعقلية القرن التاسع عشر حيث يصر على القول جهراً انه تابع للأمريكان (للبريطانيين سابقاً) منهم بحق متطرفين في الخيانة والغباء على حد سواء ..والذين يحملون في عالمنا الإسلامي بالخير من وراء هذا النظام واهمون يشتركون معهم إلى حد ما في النقص الحد في الذكاء .

المصادر

- ١ - مجموعة من الباحثين : دفاعاً عن المقدسات، الأوراق البحثية للندوة العربية الأولى لحماية المقدسات .
- ٢ - مجموعة من الباحثين: التغلغل الإسرائيلي في الخليج "السعودية" نموذجاً .
- ٣ - مجموعة من الباحثين: مقدساتنا في خطر... من المؤامرة البريطانية قديماً إلى الاتصالات الإسرائيلية حديثاً.
- ٤ - موقع مركز الحرمين . www.ahramain.org
- ٥ - مجلة الإسلام وطن .
- ٦ - صحيفة القدس العربي.
- ٧ - محمد دنيا، الحوادث الدامية في مواسم الحج خلال الربع قرن الماضي.

مداخلات ومناشآت نحوة

الدور السياسي في أفريقيا

الواجب والمخاطر

٢٠٧/٨/٢٣

في البداية نتم الحكونور رفعت سيد أحمد للنحوة بقوله :

يأتي لقاء اليوم في سياق اهتمام المركز بالأدوار الإقليمية لبعض الدول العربية المركزية في المنطقة ، ومن أبرز الدول التي تلعب أدواراً مهمة أياً كان التقييم لهذه الأدوار سواءً بالإيجاب أم بالسلب تأتي مصر وسوريا والسعودية في مقدمتها ، خاصة في هذه المرحلة من تاريخ امتنا العربية والإسلامية ، واليوم نخصص هذه الحلقة النقاشية لتناول الدور السعودي وبصفة خاصة في أفريقيا وذلك لما يتسم به من أهمية وتأثير بالغ على سياسات المنطقة وأوضاعها الراهنة والمستقبلية ، فهذا الدور به قدر من الغموض الذي يحتاج إلى توضيح من الخبراء ، ولعل هذا الغموض يأتي من أنه يأخذ غطاءً خيرياً في بعض الدول ، فتبدو السعودية في دعمها سياسات دول أو جماعات أو حركات داخل أفريقيا وكأنها تقوم بعمل خيري ، ليببدو الأمر أمامنا وكأنه لا دور ، وهذا غير صحيح ، فعندما نبحث فيما وراء هذا العمل السعودي سواء في دول جنوب أو شمال الصحراء الأفريقية سنكتشف أن

الأهداف السياسية الأمريكية قد أتت عبر الدور السعودي الخيري أو غير الخيري في هذه البلاد .

ويبدو هذا الأمر واضحاً جلياً في العديد من البلاد الأفريقية ومنها الصومال وتشاد والسودان والسنغال وغيرها .

أما الدور الثاني الذي يستقطب أو يتوسل بالفكر الوهابي للتعبير عن مصالح سياسية واقتصادية إقليمية ودولية. يظهر هذا الدور في بلاد مشتعلة بالفتن الداخلية وعلى رأسها تأتي الجزائر، ومصر في مرحلة من المراحل، والمغرب طالها هذا العنف .

فهذا الإرهاب الوهابي أتى بدعم من قوة سعودية رسمية وغير رسمية لتحقيق مصالح معينة في هذه البلاد. ولنشر ثقافة أو فكر الوهابيين فكر الغلو وعدم التسامح فيها. وتؤكد الوثائق التي نشرت حديثاً أن الدور السعودي المالي والوهابي في هذه البلاد كان عاملاً من عوامل عدم الاستقرار فيها .

والجانب الثالث هو أن هذا الدور يتعاقب بشكل غير مباشر مع الدور الإسرائيلي! فإسرائيل تريد موضع قدم لها في القارة الأفريقية منذ جمال عبد الناصر، هناك صراع إرادات بين الدور الإسرائيلي في المنطقة والدور القومي العربي في هذه البلاد، واستطاعت التجربة الناصرية أن تحقق انجازاً كبيراً في مجال حركات التحرر الوطني بالقارة، وأن تقيم لها شأناً، وكان لهذه الحركات مكاتب في القاهرة، وكان لمصر عبد الناصر دور عظيم في دعم تلك الحركات واستمرارها وهو ما أزعج الاستعمار الفرنسي والبريطاني في هذه البلاد .

ولكن هذه الدور الإسرائيلي عاد مرة ثانية وبقوة بعد نهاية السبعينيات وبعد خفوت الدور المصري. إن السعودية أرادت أن تحقق حضوراً في هذه البلاد لكن عبر تنسيق سري وغير مرئي. وقد ثبت من الدراسات التي نشرت حتى إسرائيلياً أنه يوجد تعاون يتم بين الدور الإسرائيلي والدور السعودي في أفريقيا! ربما ليس هناك معلومات كافية ولكن الأمر واضح .

وفي الجانب الرابع لهذا الدور السعودي أنه يستخدم أو يتوسل بمنزلة الحرمين الشريفين ورعايتهما وإدعاء حمايتهما لدى فقراء المسلمين في القارة السمراء والتي بها أغلبية مسلمة. فاستخدام الحرمين الشريفين وحماية المقدسات والحج والعمرة، كل هذا يعد من أسلحة آل سعود لاختراق هذه المجتمعات وثقافتها بفكر وممارسات لتحقيق مصالح أمريكية – إسرائيلية – سعودية! ويعد استخدام سلاح الحرمين الشريفين من أهم وسائل السياسة السعودية في القارة الأفريقية .

وأخيراً: فإن السعودية في الآونة الأخيرة تعيش حالة عداء مكتوم ثم عداء معن مع الأداء الليبي في القارة الأفريقية، فالأول أياً كانت ملاحظتنا عليه استطاع أن يستعيد ولو بشكل ما الدور الناصري في القارة، حيث استطاع القذافي من خلال الحضور السنوي لذكرى المولد النبوي الشريف ومن خلال الدعم المالي لدول جنوب الصحراء في إطار ما يسمى بالتوجه الأفريقي لليبي؛ وأدى هذا الحضور إلى خلافات سياسية مع السعودية حيث مثل تحدياً وصراعاً مكتوماً في التنافس على القارة، وقد لاحظنا أنه عندما تتدخل ليبيا لحل إشكاليات أو لحضور سياسي في القارة تستدعي السعودية حكام تلك الدول مثلما حدث مع تشاد وتحملهم حقائب مليئة بالأموال وهم عائدون إلى بلادهم (أقرب إلى الرشوة الشخصية) !

هذه الخلفية للصراع الليبي السعودي مثلت حافزاً من حوافز السياسة السعودية للدخول لأفريقيا. ولم ينس الملك عبد الله تلك المناظرة التي جرت بينه وبين القائد معمر القذافي في أحد مؤتمرات القمة العربية، عندما قال القذافي أن هناك دولاً لعبت دوراً في استخدام القوات الأمريكية لضرب العراق ومنها السعودية. فنطق الملك عبد الله – وهو لا ينطق لوجود مشكلة لديه في النطق – بسيل مكتوم من الشتائم، والقذافي وغيره من القادة العرب لم يفهموا منه شيئاً. فهذه الجلسة كانت محطة مهمة من الصراع الليبي السعودي وفي مستويات شتى. فمثلاً عندما طرح القذافي فكرة الفاطمية بما تعنيه من درء للفتنة السنية الشيعية، كان من الجائز أن ترد السعودية أو أي جهة عليه سياسياً وأن نختلف معه، لكن أن ترد عليه دينياً

مستخدمة المؤسسة الدينية الوهابية الجاهلة والمتطرفة في السعودية فتكفر الدولة الفاطمية التي على بعد زمني يزيد على ٩٠٠ عام بعد أن شعبوا تكفيراً في الواقع ثم بعد تكفير الفاطمية كفروا القذافي نفسه، فهذا كما قال الرسول (فجر في الخصومة). وعلى أية حال يمثل هذا الصراع جزءاً مهماً في تفسير الدور الغامض للسعودية في القارة الأفريقية .

أما الدكتور فوزي أسعد نقيطي (المفكر القومي والمناضل ابن الجزائر) فقال :

عندما قام عبد الناصر بشراء السلاح وتأميم قناة السويس وظهر كبطل قومي في سماء الأمة العربية كان آيزنهاور يقول لقادة العدوان الثلاثي لا تضربوا مصر لأنكم لو ضربتموها ستجدون العرب كلهم يقفون وراءها وهنا سيظهر البطل ولكن لا بد من خنقه ليموت بدون مشاهد درامية ، وأرسل للملك سعود بن عبد العزيز بعد العدوان الثلاثي على مصر وقال له المفروض أن تكون أنت بابا الإسلام وهنا كل الإحياء من جديد لموضوع الدور السعودي ، وأن تكون مكة هي فاتيكان المسلمين ، فهم كانوا يريدون حصار القومية العربية بوضعها في وعاء أوسع هو الوعاء الإسلامي حتى تذوب ، ويضعوا سعود أمام حركة القومية العربية التي وصفها دالاس بأنها " أخطر علينا من الشيوعية الدولية لأنها في منطقة المصالح والنفط " .

وتعتبر زيارة الملك سعود لواشنطن في ٣٠ يناير عام ١٩٨٥ هي بداية انطلاق الملك سعود من واشنطن إلى شمال أفريقيا لأول مرة بعد الابتعاد وقد سافر إلى شمال أفريقيا بوثيقة أمريكية ، ولتسويق مشروع آيزنهاور وللترويج لمقولة أن عبد الناصر شيوعي وعلى الدول العربية الإسلامية عدم مساعدته وهو الذي سوق المشروع الأمريكي في المغرب وتونس وليبيا .

وتطرق الدكتور فوزي أسعد إلى تجربة المعارضة في الجزيرة العربية مع الرئيس السوداني جعفر النميري عام ١٩٧٠ عندما ذهب وفد من المعارضة للخرطوم وكانت السفارة السعودية هناك على اطلاع كامل بهذه الزيارة وبتحركات الوفد فأبلغت الملك فيصل والذي على الفور وجه الدعوة للنميري لزيارة المملكة ومعه بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة وحسب مصدر

مطلع فقد دفع الملك فيصل للرئيس السوداني مبالغ طائلة بلغت ١٠٠ مليون ريال سعودي وهذه هي طريقة آل سعود بالدفع للشخص نفسه .

وبعد عودته انطلق الرئيس النميري لتطبيق التعاليم الوهابية في السودان بطريقة استفزازية أدت إلى ظهور حركة التمرد بقيادة العميد جرنج .

ولم ينته الدور التخريبي السعودي عند هذا الحد بل تعداه إلى تزويد المتمردين الانفصاليين بالسلح تنفيذاً للسياسة الأمريكية .

وعلى جانب آخر فإن الأمير سلطان يتعرف بأن المملكة ساعدت جماعات التيار الإسلامي في كل من تونس والجزائر والسودان وذلك في جريدة الشرق الأوسط يوم ٢٦ مارس ١٩٩١ حيث قال إن المملكة مدت يد العون والمساعدة لكل من راشد الغنوشي وعباس مدني وحسن الترابي في سبيل نشر تعاليم الدين الحنيف وتثقيف الجماهير وقد تم إنشاء ثلاث جامعات لتحقيق هذا الهدف .

وأشار النقيطي إلى قول جارودي بأن أخطر مرض يواجه الإسلام هو على أيدي أمراء النفط السعوديين والذين يستخدمون عوائد النفط لنشر الإسلام كما يفهمونه في أفريقيا وآسيا والهند بلد التقاليد الروحية القديمة ويستغل آل سعود فقر البلاد لإغراقهم وإغرائهم بالمساعدات والكتب المجانية التي تقدم الإسلام في إطار المنظومة الوهابية .

وقد سقط الصومال لأنه رفع راية الوهابية مما أدى إلى نفور الناس من اتحاد المحاكم الإسلامية .

وعن السياسة السعودية في أفريقيا تحدث فكري عبد المطالب الباحث بمركز يافا للدراسات ونال :

إذا أعدنا للتوصيفات حول الوهابية فسنذكر حديث جارودي عن غياب منطق العلاقة بين الله والإنسان لدى الوهابية وتحويل كل الشعائر إلى طقوس شكلية ، وتفريغ الروحية الإسلامية التي هي أساس هذه الشعائر لتصبح مكة هي الفاتيكان والملك عبد الله عبد العزيز هو البابا أضعف إلى ذلك تكفير الوهابيين لكافة أهل المذاهب الإسلامية بما فيهم الحنابلة

والشيعة ثم تقسيمهم التوحيد الإسلامي إلى توحيدين وتحويل صفات الإله إلى إله مادي لنجد أن هناك وثنية مباشرة في ثياب الإسلام تحت شعار أصبح على لسان العامة (العودة إلى الكتب والسنة) ولهذا ليس غريباً أنفاق ٧٦ مليون دولار لترويج الوهابية خلال الربع قرن الماضي .

وينتهي مفهوم الجهاد والمسائل الروحية عند الوهابية السعودية وليتحول إلى عداة للصوفية أما عن الدور السعودي في أفريقيا فهو يطوق الدور الليبي ويحاول أنت يحدو حدو الدور المصري في أشكاله القديمة .

فالدور المصري موجود تاريخياً ويحاول الدور الليبي أن يكون استكمالاً له وبجواره أو متقاطع معه ، وهنا يلعب الدور السعودي لتصفية هذا الدور وتقويضه بشكل تام عن طريق الوهابية وبشكل وأمثال النميري وتقسيم السودان كان من نتائج هذا الدور .

ومن الأمثلة على الدور السعودي المشوه في أفريقيا حالة دولة روديسيا والنظام العنصري فيها والذي كان يلقي الدعم من بريطانيا والسعودية وأمريكا ، ذلك النظام الذي استخدم السلاح الكيماوي ضد الثوار ، وهناك وثائق نشرت في حينها حول ذلك الأمر وكل ذلك كان بدعم من آل سعود الذين يمولون ما يسمى بالحركة الإسلامية لكسب حلف جديد للوهابيين . وحرصت هذه العائلة عائلة آل سعود على الرشاوى المالية التي كانت تدفعها لرؤساء هذه الدول وليس لشعوبها ، وذلك لشراء ذمم هؤلاء الرؤساء .

والحقيقة أن الدور الذي يقال أنه ديني لدولة آل سعود ليس كذلك وإنما فيه أمر شكلي من الأشكال المحيطة بالدين مثل الحجاب أ، النقاب والزي الوهابي للرجال ، ونبذ زيارة العتبات المقدسة أو المقامات ، وحاربوا التصوف نفسه وارتباط الناس بأولياء الله الصالحين ، غير أنهم ساندوا فكرة أن المرأة للفراش وأنها لا يجب أن تخرج للشارع ولا يجب أن تقود السيارة أو تشارك في العمل السياسي أو الاجتماعي في مجتمعها ، بل عليها أن تحجب وتحجز في المنزل وليس لها دور إلا رعاية الأطفال وما إلى ذلك .

وهذا يجعلنا نقف على الشكل وليس المضمون الديني للدور السعودي سواء في أفريقيا أو الدول العربية بشكل عام .

فاروق العشري (أمين الثقيف بالذبح العربي الناصري) نال :

حقيقة عن الأبعاد الخطرة للدور السعودي في أفريقيا والتي اتضحت من خلال هذه الندوة العلمية العميقة والتي ساهم فيها أخوة أفاضل بالعرض والتحليل أثارت عوامل الخطر الدفين الذي يحكم الصراع المصري ما بين العروبة والإسلام بمفهومه الحضاري والإنساني وما بين المد الاستعماري الصهيوني الذي تشارك فيه الحكومات السعودية المتعاقبة ، في سعيها لتحقيق توافق شكلي بين مصالحه وبين الإسلام ، أن الأمور في أفريقيا ربما يمكن اعتبارها تصل إلى التحالف ما بين الحكم السعودي والطرح الصهيوني والأمريكي ، فهل هذا التلاقي بالصدفة أن بالاتفاق الواضح الصريح المقصود ؟ بحيث تنتهي إلى نتائج وتحديد مواقف ، والحقيقة أن الرجوع إلى الخلفيات التاريخية ونشأة المملكة العربية السعودية وإسرائيل والظروف والملابسات التي سمحت بذلك والحروب مع العثمانيين والقضية الفلسطينية كل ذلك لا يكفي لتكوين رأي وموقف ، بل لا بد من تمحيص وتحليل الفكرة وجذورها .

ولكن يمكن الإشارة مثلاً إلى لقاء الملك عبد العزيز بروزفلت الرئيس الأمريكي في نوفمبر ١٩٤٥ والذي وعد فيه الملك بتعويض الولايات المتحدة صراحة عن أي نقض يتعرضون له في احتياجاتهم من البترول ، ثم بعد ذلك اتفاقية الدفاع المشترك في ١٨ يونيو ١٩٥١ والتي منحت للولايات المتحدة قاعدة الظهران ، ولا ننسى الاتفاقيات التي تمت بين السعوديين والبريطانيين .

فهذا يظهر بوضوح ضراوة الصراع وأبعاده وأن هذا الهدف مقصود ومتواصل من جانب السعودية باستخدام الحركة الوهابية واتفاقها مع الصهيونية العالمية والإمبريالية عامة والأمريكية خاصة في سبيل ضرب الإسلام والعروبة معاً .

وعن الدور السعودي في أفريقيا الأبعاد والمخاطر - نال محمود جابر (المس في شؤون الحداز).

في الحقيقة أود طرح سؤال مبدئي : هل يبدأ تنظيم "القاعدة" في تغيير خطته الإستراتيجية وخياراته الجغرافية، ويوجّه البوصلة باتجاه أفريقيا بعد الحصار الذي شلّ حركة أعضائه وقياداته في أفغانستان وباكستان والعراق؟! هل تبدأ الجماعات الجهادية(الإرهابيين) رحلة التنقيب في الأراضي الأفريقية الخصبة لتجد لها ملاذاً آمناً تستعيد فيه أنفاسها وهل ويعاود تنظيم القاعدة عملياته ومن المعلوم أن اهتمام "القاعدة" بأفريقيا ليس جديداً، خصوصاً وأنها سبق وشهدت تواجداً للجماعات التي استخدمت الصراع والاضطرابات لزيادة حجم التطرف ولها تجارب سابقة، منذ استيطان قيادة "القاعدة" أسامة بن لادن وآخرين في السودان لفترة ، وتفجير السفارتين الأمريكيتين في كل من كينيا وتنزانيا، وأحداث العنف الجزائرية ومعركة المجاهدين في الصومال وعملية جرباً في تونس، وعملية الدار البيضاء في المغرب، و شرم الشيخ في مصر .

وهذا التساؤل أجاب عنه شخص يدعى "أبو عزام الأنصاري" في دراسة مطوّلة لأنصار الجهاد العالمي، وهي تؤكد أن أبو عزام الأنصاري وكثير من قيادات القاعدة العسكرية أتوا من شمال أفريقيا وهذا له دلالة ومؤشرات على أن "القاعدة" ربما تفكر في تغيير خططها وتواجدها أفريقيا .

ومن بين الأسباب التي ذكرها الأنصاري في دراسته، خروج عدد كبير من قيادات تنظيم من دول أفريقية وانتشار المد الجهادي في بعض الدول : كمصر، الجزائر، السودان، موريتانيا، والصومال، وتشاد. بالإضافة إلى الحالة السياسيّة والعسكريّة التي تعاني منها البلاد من تخلف وصراعات قبلية واقتتال داخلي .

وهذا التواجد يصنع له خيراً باعتبار أن أفريقيا هي الأرض الموصلة إلى أرض الإسراء فهم يريدون أن يزحفوا من قلب القارة إلى مصر ثم فلسطين .

ومن جهة نظرنا نرى أن القول بالاتجاه السعودي الوهابي بقيادة القاعدة نحو أفريقيا للاقتراب من فلسطين ليس إلا إهداء قديم تردده القاعدة وكل التنظيمات القتالية الوهابية منذ عبد الله عزام حتى الآن .

غير أن الواقع يشهد عليهم أنهم قاتلوا كل الناس عدا الصهاينة في فلسطين المحتلة أو غيرها ،ويقتحمون كل أرض ويتسللون إلى كل قطر إلا فلسطين ،ونرى أن القاعدة هي واحدة من الوسائل الوهابية الثلاث (الدعوي ، المقاتلة – والإسلام السياسي) فهذه الثلاثة هي عماد المشروع الوهابي فهم يعتمدون على الدعوة الوهابية وكأنها دعوة ، ثن القتال وتخريب بعض المجتمعات ثم الإسلام السياسي ،والسعودية في بقيامها على دعائم الوهابية تقدم عونا للإمبريالية العالمية وتخرب النظم والدول في أفريقيا بدءاً من زعزعة السلم والأمن في بها وصولاً إلى تلاشى هذه الدول والأقطار كنموذج الصومال وكاد هذا النظام يقع في الجزائر وهو يقترب اليوم من السودان .

ويقوم الدور السعودي في أفريقيا حول محورين أولهما العلاقة بين الاتجاهات السعودية الثلاثة في تحقيق هذا الهدف والثاني هو ما يسمى بالسلفية الوهابية الجهادية في أفريقيا . وباختصار شديد أعرض الفكرة الرئيسية في المحور الأول وهو عن السعودية والإسلامية الدولية الوهابية ، فالإسلامية الدولية بين قوسي الوهابية في أيديولوجية عالمية مثل الشيوعية الدولية وإذا كانت الشيوعية الدولية تبغي نشر الشيوعية فإن الوهابية تبغي السيطرة على العالم وهي تستخدم الدين الإسلامي لبسط هذه السيطرة وتبرير كل شيء بمبرر ديني وتقول إن هدفها ديني بمعنى تحويل العالم كله إلى مسلمين .

والإسلامية القديمة والسلفية الوهابية قديمة بقدم الإسلام ذاته ، فهي ليست طارئة أو جديدة فقط المصطلح هو الجديد ، ولهذا تعتبر الشيوعية الدولية مجرد جملة اعتراضية

مقارنة بالإسلامية الدولية ، ويستخدمون الدين لتحقيق أهدافهم والتي منها العنف وهو قاسم مشترك في كل مراحلها ويجب أن تبدأ بالدعوة ثم ما يزعمون " بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف ثم محاولة الأسلمة ومحاولة اتهام الناس بالكفر وأن عليهم اعتناق الدين الجديد له وأي وسيلة تستطيع بها السيطرة على العالم متاحة ومحللة شرعاً في نظر فقهاء الإسلامية الدولية الوهابية ، كل ذلك من أجل السيطرة على العالم سواءً طوعاً أو كرهاً .

وهناك ثلاثة مراكز رئيسية للإسلامية الدولية وكلها تعتمد على ركائز واحدة وداعم رئيسي وهو السعودية علاوة على عشرات المراكز والفروع جعلت الإرهابيين ضيوفاً دائمين في أغلب البيوت العربية عبر مجموعة من الفضائيات المسيطرة على عقول الناس .

أما الاتجاهات المعاصرة فيمكن تلخيصها في ثلاث ، الأول هو السعودية ورهينة العالم منذ أن التقى محمد بن سعود مؤسس الدولة بمحمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية وهو التحالف القائم حتى الآن وهو قائم على قاعدة بسيطة وهي دعم حكم آل سعود مقابل وهبنة الحجاز والسفر لرهينة العالم ، ومع ظهور البترول اتخذت رهينة العالم شكلاً أكثر دعماً وتوسعاً علاوة على اعتمادها على شبكة من المؤسسات الضخمة التي مولتها السعودية مثل رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة الشبيبة الإسلامية ومنظمة الغوث الإسلامية والتي استخدمت ما يزيد على ٦ آلاف داعية لغزو بلاد أفريقيا ، إضافة إلى دار المال الإسلامية وبنك فيصل الإسلامي كما تسللت الوهابية لغزو مراكز أكاديمية في العديد من الدول الغربية مثل الكرسي الذي أنشئ في جامعة كاليفورنيا باسم الملك عبد العزيز ، وكرسي فهد في هارفرد وكلية الدراسات الشرقية في لندن ومراكز الدراسات العربية العديدة في جورج تاون والتي ساهمت في العديد من هذه المؤسسات لكي تجيشها صالح الوهابية السعودية .

أما الاتجاه الثاني فهو اعتماد الوهابية بشكل كبير على المال واعتماد الحركة الجهادية الممولة من السعودية على العنف بشكل أساسي وذلك للسيطرة على الدول الإسلامية بالقوة

لتكون نواة تقفز منها إلى باقي دول المنطقة لاستعادة الخلافة أو تأسيس الأممية الإسلامية والقاعدة تمثل أحد الأعمدة الوهابية كمشروع داعم للإمبريالية العالمية وطبعاً أفريقيا حاضرة في قلب هذا المشروع المعادي للدين والأمة .

أما الاتجاه الأخير فهو التشويش في عقول كثير من المثقفين والذي لعب هذا الدور ما سمي الإسلام السياسي وفي القلب منه جماعة الإخوان المسلمين حتى الاسم منقول من جماعة الإخوان الوهابيين .

أما د. عبد الكريم العلهوي

فأشار إلى أهمية دور الحج والعمرة كوسيلة من وسائل الدور السعودي في أفريقيا ومن المهم دراسة أبعاد هذا الدور ومستقبله وتأثيره على قضايا الأمة .

أما د. علي أبو الخير (الخبير في شؤون الحج) فقال :

إن الحضارة الأفريقية تعتبر مجهولة بالنسبة للمسلمين رغم أن الإسلام دخلها مبكراً ونشأت فيها ممالك إسلامية في السنغال والنيجر ومالي .

وقد ظلت الدول الأفريقية تحت الاستعمار الغربي والذي بمجرد أن خرج دخلت الوهابية السعودية حيث تزامن خروج الاستعمار من القارة مع ظهور النفط وقدمت السعودية نفسها على أنها حامية للدين الإسلامي ، ولأن النظام السعودي مرتبط بالاستعمار الأمريكي فقد غضت الولايات المتحدة الطرف عن النشاط الوهابي في القارة الأفريقية وقام النظام السعودي بدفع الأموال الباهظة ليس لمساعدة المسلمين وإنما لنشر الوهابية وقد حققت نجاحاً في بعض الدول ولكن هذا النجاح تسبب في الفتن بهذه الدول بما فيها بعض الدول العربية في شمال أفريقيا مثل الجزائر .

والتحرك السعودي في أفريقيا عبر عن الرغبة في نشر الوهابية ومن جانب آخر لخدمة النظم الاستعمارية ويمكن ذكر بعض النماذج على تورط النظام السعودي مع بعض الفتن مثل

الوهابية في المغرب العربي والتي أشعلت الحرب الأهلية منذ عام ١٩٩٢ والتي قتل فيها أكثر من مائتي ألف جزائري وفي المغرب جاءت تفجيرات الدار البيضاء .
وقد اعتمدت الدعوة الوهتبية على استقطاب بعض الشباب للدراسة في الجامعات السعودية ويعدها يعودون لنشر الأفكار الوهابية وتكفير المجتمعات ثم يعملون على تمهيد حكومات تلك الدول لتصبح لقمة سائغة للتدخل الأجنبي .

سولعل ما حدث للمسلمين في ساحل العاج حيث كانوا يتبعون المذهب المالكي ولكن عملت الدعوة الوهابية على التأثير عليهم وقد حرصت السعودية على استقبال رؤساء الدول الأفريقية الإسلامية ، واستقطابهم بكافة الوسائل علاوة على إنشاء العديد من المدارس الإسلامية الوهابية في هذه الدول وبصفة خاصة في دول غرب القارة الإفريقية .

و نال محمد دنيا (كاتب صحفي وبلات بمركز يافا) :

لقدعانت الدول الفقيرة في أفريقيا وآسيا منتجاوزات هذا النظام السعودي الذي يستغل حاجة تلك الدول للأموال وإذا حاولت إحداها أن يكون لها رأي مخالف للملكة في أي شأن دولي يعبر عن مصالحها تصبح جاحدة وناكرة للجميل السعودي ، ويتم معايرتها من خلال التذكير بالأموال التي حصلت عليها من السعودية وذلك ما حدث مع السودان في حرب الخليج الثانية ، ويستخدم آل سعود الأضاحي التي يقوم المسلمون بنحرها في الحج كسلاح ضد الدول الإسلامية الفقيرة التي تريد أن تنفرد بقرارها الوطني وهذا حقها ، ويمكن تقسيم الدور السعودي إلى أربعة اتجاهات ، الأول هو تفجير النزاع مثلما حدث في السودان والصومال ومحاولاتهما المتكررة في ليبيا وتشاد ، والثاني هو زرع الإرهاب الذي عاشته مصر والجزائر وهو نتاج الفكر المتطرف القادم من السعودية ، والثالث استخدام المال وأضاحي المسلمين كسلاح ضد الدول في أفريقيا لاتي ترفض الخنوع لهذا النظام ، والرابع يكون باستخدام سلاح الرشاوى لابتزاز المنظمة الأفريقية وبالنسبة للدور السعودي في ليبيا فإن الحقائق التاريخية تؤكد ان العلاقات بين الدولتين لم تشهد أي استقرار باستثناء فترات

قصيرة فقد ظلت توترة بسبب الدعم السعودي كما تقول ليبيا للمصريين ويعود ذلك لفترة الثمانينيات وقد وقفت السعودية لفترة طويلة حائلاً في وجه عودة العلاقات الطيبة بين مصر وليبيا حيث سعت الأسرة السعودية في عهد الرئيس السادات لإبعاد مصر عن ليبيا بتعليمات من واشنطن .

وقد نشر الكاتب المعروف أنيس منصور في مجلة أكتوبر المصرية عرضاً لمذكرات السادات يؤكد فيها أن العقيد القذافي أمسك بالسادات داخل الكعبة وطلب من أن يقسم بالله ان تتم الوجدة كما أرادها عبد الناصر إلا أن السادات رفض بعدما وعد الملك فيصل السادات بدفع كل ما ينوي القذافي دفعه لمصر وأكثر .

اما بالنسبة للسودان فقد أنهى الموقف السوداني الراض للوجود الأمريكي في الخليج شهر العسل بين نجيبة الإنقاذ الإسلامية التي كانت تحكم السودان وبين النظام السعودي في درء الفتن في البلاد بدعم متمردي الجنوب المسيحي ثم الشمال المسلم لتقسيم السودان إلى دولتين مسلمة في الشمال الفقير ومسيحيين في الجنوب الغني بالبتروال والثروات الخرى وتعود القضية إلى بداية التسعينيات عندما وجه الرئيس السوداني عمر البشير اتهاماً مباشراً للحكومة السعودية بأنها زودت المتمردين الانفصاليين في الجنوب بالسلاح وقلبت الصراعات عندما شوهدت سفناً سعودية تنقل أسلحة موجهة للجيش الشعبي لتحرير السودان حاولت تفريغ حمولتها في كينيا .

وأضاف البشير ان كينيا رفضت ذلك وأشار إلى اتصالات اجرتها السعودية مع بلدان أفريقية مجاورة لتوفر قواعد للمتمردين الجنوبيين على أراضيها لكن هذه الدول رفضت الطلب ، وكما جرت العادة في تعامل المملكة مع خصومها فقد تضمن البيان الذي نفى الاتهامات السودانية قائمة بالمساعدات التي قدمتها الرياض للسودان خلال الفترة الماضية .

أما اللواء وجيه عفيفي (الخبير الاستراتيجي المعروف ومدير المركز العربي للدراسات الاستراتيجية) فأكد :

أن أفريقيا منطقة متسعة المرامي والأطراف وتضم أكثر من ٥٥ دولة وأن معظم ثرواتها لم تستغل حتى الآن بشكل جيد وما زال الاعتماد الأساسي على البترول كما تضم دولاً تطل على حوض نهر النيل ، وإذا تذكرنا أن الحروب القادمة هي حروب ترتبط بعملية الصراع على المياه تزداد القارة الأفريقية أهمية وإستراتيجية وهو ما دفع الولايات المتحدة لوضع إستراتيجية كان للسعودية دوراً بارزاً في تنفيذها وقبل أن يتم وضعها فإن هناك عوامل ساعدت على وضعها وهي غياب الدور العربي حيث يمكن القول أن العرب ليس لهم نفوذ على الإطلاق في القارة الأفريقية ولكن في نفس الوقت يمكننا أن نقول أن هناك ثلوثاً يتحرك في القارة يضم الولايات المتحدة وإسرائيل والمملكة العربية السعودية يهدف للسيطرة على أفريقيا .

وهذا الدور السعودي تكشف بالفعل بعد حرب الخليج الثانية وما يسمى تحرير الكويت حيث أصبحت المملكة العربية السعودية تعمل على زيادة نفوذها في المنطقة العربية والأفريقية لصالح واشنطن ، وهنا تجدر الإشارة إلى غياب الدور المصري فلم يعد هناك اهتمام لدى الخارجية المصرية على سبيل المثال الآن بأي أحداث تقع في أفريقيا ولا بأي اتجاهات إستراتيجية لمنطقة أفريقيا رغم أنها تمثل الحديقة الخلفية لمصر والدول العربية . وعلى ذلك يمكننا القول أن الولايات المتحدة الأمريكية وجدت أهمية خاصة في أفريقيا وأنها أسهل المناطق التي يتم جلب الجنود المرتزقة منها لشن بهم حروبها التوسعية – فهي – الولايات المتحدة – تريد أن تحل محل الدول الاستعمارية القديمة ، وهي في ذلك لا بد لها من أن تتعاون مع بعض الدول الكبرى في المنطقة لمساعدتها على تحقيق أهدافها الإستراتيجية وهنا تلعب السعودية هذا الدور ، وهناك تلاقي ملحوظ في التحركات الأمريكية والسعودية في القارة الأفريقية يخدم في النهاية على المصالح الإسرائيلية ويقوي من دورها على حساب المصالح والدور العربي .

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٣	* هذه الندوات
٤	* الورقة البحثية الأولى (الدور السعودي في أفريقيا ، الأبعاد والمخاطر) أ محمود جابر
٣٨	* الورقة البحثية الثانية : (الدور السعودي في زرع الفتن إفريقياً) أ. محمد دنيا
٦٢	* الورقة البحثية الثالثة : (الدور الوهابي السعودي في أفريقيا - سياسياً ودينياً) د. علي أبو الخير
١٠٤	* الورقة البحثية الرابعة: (السعودية وقضايا العالم الإسلامي - أفريقيا نموذجاً) د. عبد الرحمن الأشقر
١٣٢	* مداخلات ومناقشات ندوة: (الدور السياسي السعودي في أفريقيا ، الواقع - المخاطر)